الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية ادرار

كلية الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

شعر السجون في الجزائر وأهم موضوعاته في الفترة الحديثة
أحمد سحنون أنموذجاً

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات جزائرية

إعداد الطالب :
- حرمة عبد الرحمان

إشراف الدكتورة :
- صنباوي كريمة

السنة الدراسية
2018-2017

كلمة شكر و تقدير

أتقدم بشكري إلى الله عز وجل وحده لا شريك له .

و أتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام للأستاذة المشرفة الدكتورة : صنباوي كريمة التي لم تبخل علي بنصائحها القيمة وتوجيهاتها الرشيدة .

والى زوجتي الكريمة التي سهرت معي وكانت هي الدافع والمحفز والمشجع من أجل اتمام البحث .

والى كل الأساتذة الذين كرسوا حياتهم من أجل العلم.

والى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد من أجل إتمام هذا البحث.

وشكراً

الإهداء

إلى من ينبع الحنان من صدرها ، إلى من علمتني معنى الحياة بنصائحها ، إلى من أفنت السعادة من بين ضلوعها وفرشتها لي بيدها ، إلى أول من سقطت عيناي عليها فأبصرت بها الدنيا .

أمي التي حملتني وأرضعتني حليبها حولين ، أمي التي ذهبت بدون رجعة ،رحمة الله عليك ونور الله قبرك وجمعنا بك في جنة المتقين مع النبيئين والصديقين .

إلى والدي الكريم الذي كان الموجه الواعظ ، و الذي كد وتعب من أجل توفير لقمة العيش و وسائل الدراسة ، الذي كان يتمنى أن يرى ثمرة جهده . مع تمنياتي له بدوام الصحة و العافية.

إلى أخي الأكبر بوجمعة الذي علمني معنى الحياة الكريمة ولم يبخل علي يوم في تدعيمي بكل ما لديه وأتمنى أن يعوضه الله على ذلك خير جزاء .

إلى أخواتي : كل واحدة باسمها مع أولادهن وأزواجهن .

الى كل الأصدقاء ...

الى كل الزملاء بالدراسة ...

إلى كل من صادفته وتعرفت عليه ، وإلى كل الأهل و الأحباب ، وإلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي.

مقدمـــــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونسترشده ، ونعود بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنزل كتابه الكريم بالحجة الدامغة ، والبرهان الناصع ، موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه : ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**))[1] . وصلى الله عليه وسلم تسليماً ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ، وشموس العلم والعرفان ، والتابعين لهم بإحسان إلى يـــوم الديـــن .

شعر السجون في الادب العربي واسع و متشعب و متنوع و ممتد على مساحة شاسعة من الارض العربية ، ومستغرق حقبة زمنية طويلة ، نظراً للحملات الاستعمارية التي شملت جل الوطن العربي ، والأنظمة الديكتاتورية التي كانت سائد في أغلب بلدانه .

وأنا ركزت على شعر السجون في الجزائر في الفترة الحديثة ،نظرا لما عانه شعراء الجزائر في السجون الفرنسية ، من تعذيب وظلم ومعاناة من أجل العدول عن حقوقهم ، فصمدوا صمود الرجال ، و لم يخونوا وطنهم فكانت أقلامهم بمثابة السلاح الذي حارب المستعمر.

أما شاعرنا الشيخ أحمد سحنون فكان نموذج لبحثي ، فعاش مدة في سجون المستعمر عانى فيها الظلم والقهر والحرامان فكتب هنالك العديد من الأشعار عبر فيها بكل صدق عن ما جال بخاطره .

غير أن ما لفت انتباهي أن الدراسات والأبحاث لم تهتم كثيرا بمثل هذا الموضوع ، وبخاصة من حيث تسليط الضوء على شخصية بعينها ورصد أهم ملامح شعر السجون عندها ، حتى وان كان ذلك لا يتجاوز الدراسة العامة والوصف السريع لبيئة معينة أو أسماء كثيرة تضطر صاحبها الى الوصف والتنظير السريع ، مثل ما وجدته في مذكرة شعر المنافي والسجون في الادب المغربي ما بين 1912-1956،ومذكرة الحبسيات في الشعر العربي الحديث ،ومذكرة المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر (1954-1962) ، وهذا ما دفعني الى اختيار شخصية أحمد سحنون .

وكان من بين الأسباب التي جعلتني أختار هذا البحث هي الوقوف على هذا الشعر الصاق الذي ولد من روح الثورة على الظلم ، ودراسته ، والتعرف على حجم المعاناة التي كان يعانيها الشعراء الجزائريين في سجون المستعمر الفرنسي الغاشم ، أما الشيخ أحمد سحنون فهولتسليط الضوء عليه لأنه لم تشمله دراسات عديدة .

[1]- سورة العلق الآية ،1،2، 3 ، 4، 5 .

وكان الهدف من البحث الوصول الى أهم الشعراء المسجونين في الحقبة الاستعمارية ، ونفض الغبار على الكثير من أشعارهم .

وليكون البحث أكثر تحديدا وأطوع للدراسة ، حاولت أن أصوغ اشكالية توضح لنا الطريق للوصول الى هدفنا من هذه الدراسة ، فما ماهية شعر السجون ؟ وما هي مراحل تطوره عبر العصور ؟ و ما واقعه عند الشعراء الجزائريين عامة والشيخ أحمد سحنون خاصة ؟ .

وللإجابة عن تلك الأسئلة وضعت خطة مكونة من مقدمة وتمهيد وفصليين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع .

ففي المقدمة أشرت الى أهمية الموضوع من خلال صياغة اشكالية ، وذكر أهم الصعوبات التي واجهتني خلال البحث في الموضوع .

وفي التمهيد وقفت على لفظ السجن فعرفت السجن لغةً واصطلاحاً ، أما الفصل الأول فتناولت شعر السجون تطوره وأهم ملامحه عند الجزائريين وقسمته الى مبحثين ، وفي الفصل الثاني خصصته للحديث عن شاعرنا أحمد سحنون فقسمنا الفصل الى مبحثين ، خصصنا الأول للشيخ أحمد سحنون ، في الحديث عن حياته من خلال الوقوف على أهم المراحل فيها وعلاقته بأولاده وتفكيره وانتمائه السياسي ، ورغم أننا أطنبنا في الكلام الا أن ذلك كان ضروريا لصلته الوطيدة بالموضوع ، أما المبحث الثاني فتناولت فيه موضوعات شعر السجون عند الشاعر أحمد سحنون . وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة أشرت فيها الى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

وأن طبيعة البحث في هذا الموضوع اقتضت مني منهجين هما : المنهج التاريخي الذي ناسب الفصل الأول لأن فيه دراسة تاريخية لشعر السجون ، أما المنهج الفني فقد ناسب الفصل الثاني الذي قمنا فيه بدراسة موضوعية لشعر السجون عند أحمد سحنون .

وبما أن بحثي يعتمد وبشكل كبير على المادة الشعرية فاعتمدت على عدة دواوين منها : اللهب المقدس لمفدي زكرياء و ديوان أحمد سحنون ج1 ج2 وديوان الأمير عبد القادر وديوان محمد العيد آل الخليفة وكذلك بعض المراجع ، وبعض رسائل الماجستير و الدكتوراه .

وبما أنه لا يخلو أي بحث من الصعوبات ، فالصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث هي قلة المراجع المتخصصة في شعر السجون .

وختاما وقد منَّ الله عليَّ بإتمام بحثي لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل ، و لأستاذتي الدكتورة صنباوي كريمة التي لم تبخل علي بملاحظاتها القيمة وتوجيهاتها السديدة التي كان لها أثر بين في استواء صورة هذا البحث ، وكما أوجه شكري الى كل من ساهم من قريب أو بعيد من أجل اتمام هذا البحث .

1- مفهوم لفظ السجن في اللغة والاصطلاح :

ان الدارس لشعر السجون لابد عليه من الوقوف على المصطلح وتحديد معانيه اللغوية والاصطلاحية ، للوصول لماهية هذا اللون الأدبي وسبب تسميته بهذا الاسم .

أ- السجن لغة :

لقد جاء مصطلح كلمة السجن في الكثير من المعاجم العربية ، نذكر منه ما جاء في معجم الوسيط " سَجَنَهُ –سجناً : حبسهُ فهو مسجون وسَجِين جمعه سُجناءَ و سجنى وهي مَسجُونة وسَجينة (ج) سَجنى و سَجائن . ويقال سجن لسانه . و سَجَنَ الهمّ لم ينشره و لم يظهره "[1] .

وجاء في المنجد في اللغة والاعلام لمصطلح سَجَنَ :سَجَنَ – سَجناً : حَبسهُ في سجنٍ (ج) سُجون : المحبس . السّجّان : صاحب أو حارس السجن . السجين :ج سُجَناء و سَجنى م سَجين و سَجِنته ج سجنى[2] .

كما جاء في لسان العرب عن السجن بفتح السين ومصدره سَجنه ، يسجنه ، سجناً . ويدعى بالمحبس والسّجان وهو من يتولى أمر المسجونين وهو القائم على السجن ورجل سجين أي محبوس[3].

أما ابن الفارس فقد اعتبر ان السين والجيم والنون أصل واحد يؤدي معنى السجن بالحبس وهو الموضع الذي يحبس فيه الإنسان[4] .

وجاء في معجم نور الدين الوسيط عن معنى كلمة سَجَنَ : (مادة : س ج ن) .اسَجَنَ (القاضي المجرمَ) يَسْجُنُهُ سِجْناً فالمجرم : سجينٌ جَمعُ : سُجناءُ : حبسهُ في سجنٍ . اي مكان مقفل[5].

والمعنى نفسه نجده في معجم القاموس المحيط فنقرأ في " فصل السين " ، باب النون ما يأتي : " سجنه : حبسه والهمَّ لم يبثه ،والسِّجن بالكسر: المحبس وصاحبه سجَّان ، والسَّجين المسجون : جمعه سجناء وسجنى ، وهي سجين وسجينة ومسجونة من سجنى و سجائن ..."[6].

ومن هنا نلاحظ من خلال المعاجم العربية التي تناولناها بأنهم اتفقوا على معنى واحد لمصطلح "السجن" ، وهو الموضع الذي يحبس فيه الانسان ، وتسلب منه حريته وذلك من أجل تأديبه .

1- معجم اساتذة اللغة العربية .معجم الوسيط . مكتبة الشروق الدولية مصر ط 4 .2004 .ص 418 .

2- المنجد في اللغة والاعلام .دار المشرق ، بيروت ، ط 27 ، 1984 ، ص322 .

3- ينظر لابن منظور . لسان العرب فصل السين باب النون . دار صادر بيروت .ط3 .مج3 .1994 .ص 203 .

4- ابن الفارس .معجم مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الجيل بيروت .ط1 .مج 3 .1991.ص137.

5- عصام نور الدين .نور الدين الوسيط . دار الكتب العلمية .بيروت .ط 2 .2009 . ص 808 .

6- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة النوري للطباعة والنشر و التوزيع ، دمشق ط1 . ج4 ، ص233 .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة وردت فيها الكلمة للدلالة على معنى الحبس والايقاف وحجز الحرية لداع من الدواعي او سبب من الاسباب . ويتجلـــى ذلك في سورة يوسف عليه في قوله سبحانـــه وتعالى :

((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [1].

وورد في السورة نفسها في قوله عز وجل :

((قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ)) [2]

وقال ايضاً :

((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)) [3]

وقال ايضاً :

((وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)) [4]

وفي قوله ايضاً :

((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) [5]

وفي موضع آخر في قوله تعالى :

((وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)) [6]

ولقد وردت لفظة السجن في سور أخرى من القرآن الكريم نذكر منها ما ورد في سورة الشعراء في قوله تعالى :

1- سورة يوسف ، الآية 25 .
2 - سورة يوسف ، الآية 32 .
3 - سورة يوسف ، الآية 33 .
4- سورة يوسف ، الآية 36 .
5- سورة يوسف ، الآية 39 .
6- سورة يوسف ، الآية 42 .

((قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)) [1]

وقوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ))[2]

ونقف عند لفظة الحبس ايضا في سورة هود في قوله تعالى :

((وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))[3]

ومن هنا نرى بان لفظة السجن او الحبس وردت في الكثير من الآيات القرآنية ، وهي تدل على معنى واحد بالرجوع الى معناها في المعاجم العربية .

" واما السجن في السنة النبوية الشريفة (الاحاديث والممارسات العلمية) قد اختلف أهل الأمصار في هذا الشأن ، هل سجن رسول الله –ص– أحدا أو لا ؟ فذكر بعضهم أنه لم يكن له سجن ، ولا سجن أحد ، وذكر بعضهم الاخر أنه سجن في المدينة في تهمة وفي غيرها "[4]

ب – **السجن اصطلاحا :**

السجن موطن آخر محكم السدود والقيود ، أما النّاتج الأدبي فيه يسمى حصاد السِّجن ، وينسب الى السجن لعلاقة السبب والمكان لأن شرطه ان يكون الشاعر سجينا حقا ، وينظمه في السجن لا خارجه ، أما من حيث موضوعه فهو السجن وما يتصل به ، او الحرية والتحرر وما يتصل بهما من الظروف ، وهذا الشعر أحد أدب السجون في الادب العربي قديمه وحديثه[5] .

ومن هنا يتضح لنا من خلال اطلاعنا على الكثير من الاشعار التي صدرت من السجون ، والدراسات السابقة بأن المفهوم الاصطلاحي لشعر السجون هو كل ما صدر عن الشاعر خلال سجنه .

---

[1] – سورة الشعراء ، الآية 29 .

[2] – سورة المآئدة ،الآية 106 .

[3] – سورة هود ، الآية 8 .

[4] – واضح الصمد ، السجون وأثرها في الآداب العربية منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ،1995 ، بيروت لبنان ،ص26 .

[5] –مقران فصيح ، البناء اللغوي لشعـــر السجون عند مفدي زكرياء واحمد صافي النجفي ،منشورات بونة ، عنابة – الجزائر ،ط1 ،2008 ،ص13 .

المبحث الأول : شعر السجون عند العرب وتطوره عبر العصور

أ- العصر الجاهلي :

لقد عرف العرب ظاهرة السجن منذ القدم ، أي من العصر الجاهلي ،الا انهم لم تكن لهم سجون مخصصة لهذا الغرض وانما كانوا يحبسون السجين حيثما تيسر في دار أو خيمة أو عند شخص معروف . وكانت أغلب مواضيعه تدور حول : الإستعطاف ، وطلب السماح ، ووصف ظلام الليل وقساوة العيش وثقل الأغلال ، فيدركهم الموت احيانا فيريحهم من تلك المعاناة ، ومنهم من يصفح عنهم ومنهم من يتخلص من ذلك بالفرار من السجن .

ولقد عرف الجاهليون السجون في الامارات القائمة على أطراف الجزيرة العربية (المناذرة والغساسنة) وفي بعض الحواضر العربية (مكة واليمن) منبثقة من واقع صراعاتهم وحروبهم متأثرة ببيئتهم وخصوصية مجتمعهم وحينها لم يكن الاسر يتعدى عند منشئه تكبيل المذنبين بالأصفاد [1] .

وقد جرب عنترة العبسي الشاعر الجاهلي سجون المناذرة وقد كان عنترة ابن أمة اسود اللون لم يرغب عمه في تزويجه ابنته "عبلة" ، فلجأ الى حيلة حتى يصرفه عنها حتى اشترط عليه كضرب من التعجيز ان يقدم له مهرا من النوق العصافرية التي لا تتوفر الا عند المناذرة في الحيرة ، فاضطر عنترة ان يقطع الفيافي والقفار ويخوض خاسرة انتهت بالقبض عليه والزج به في السجن :

ترى أعلمت عبلة ما ألاقي من الاهوال في أرض العراق
طغاني بالرّيا والمكر عمّي وجار عليَّ في طلب الصداق[2]

ثم طلب الملك المنذر من عنترة أن يبارز أسداً وهو مقيد الرجلين ففعل عنترة وقضى على الأسد فأطلق الملك سراحه .

وفي ذلك يقول الشاعر :

قطفت وريده بالسيف جزرا وعدت اليه أحجل في وثاقي[3]

وعلى مقربة من الحيرة في البحرين قبض غلى الشاعر طرفة بن العبد بأمر من الملك عمرو بن هند وأودع السجن . ومما قاله طرفة في سجنه :

ألا اعْتَزِليني اليومَ خَولةُ أو غُضِّي فقدْ نَزَلتْ حَدْباءُ مَحْكَمَةُ العَــضِّ

---

[1] – بديعة لفضايلي ، شعر المنافي والسجون في الادب المغربي ما بين 1912–1956، المندوبية السامية لقدماء المقاومين ، ط1 2008 ،ص27

[2] – عنترة بن شداد ، الديوان ، شرح يوسف عيد ، دار الجليل ،بيروت ، دط ،2001 ،ص229 .

[3] – المصدر نفسه ، ص231 .

أبا منذرٍ كانتْ غروراً صحِيفتي و لم أُعطِكمْ بالطوْعِ مالي ولا عِرْضي[1]

و اللافت للانتباه في سجون المناذرة والغساسنة أنه لم تكن هناك مدة محددة لعقوبة السجن ، حيث كانت المدة مزاجية ، فقد يتذكر الملك المسجون ويعفو عنه بعد فترة وجيزة ، كما يبقى طول حياته في السجن حتى يموت فيه ، ويبدو أن الملك وحده هو الذي يعاقب بالسجن من خلال ما وصلنا من روايات في الشعر السجني ، وهو وحده من يملك حق إطلاق سراح المسجون وكانت السجون متطورة نوعا ما فلم تكن زنزانة أو بئرا ، وقد يكون بناؤه اعد اصلاً لكي يكون سجناً[2] .

أما في مكة فكان سادة الاسر يعاقبون المخالفين والخارجين عن الطاعة بحبسهم في بيوتهم ولك بربط المحبوس بالسلاسل ، فلا يخرج ولا يغادر مكانه و لم تحتل مكاناً خاصاً في بيت سيد الأسرة مجهزة بالسلاسل لربط المحبوسين و لم تكن محصنة كما يلزم ، كما أن الحراسة فيها كانت سهلة تمكن المحبوس من الهرب [3] .

ومثال ذلك أسر الأهثم ل عبد يغوث الحارثي في مترله ، "... وهو الذي قاد قومه في مواجهة بني تميم وأنصارهم ولكن قتل العديد من قومه وأسر وكان أحد الاسرى وقد أسره عبشمي يقال : أنه أهوج ورغب الشاعر افتداء نفسه بمئة من الابل فقامت أم الرجل له وقد رأته عظيماً جميلاً جسيماً : من أنت ؟ فال : انا سيد القوم . فضحكت وقالت قبحك الله من سيِّد قوم حين أسرك هذا الأهوج فقال عبد يغوث :

وتضحكُ منِّي شيخةٌ عبشميَّةٌ كأنْ لم تَرَى قلبي أسيرًا يَمانيا"[4]

ولقد كان لعدي بن زيد العبادي قصائد شعرية في السجن ، فكتب لملكه " ... لما طالت ليالي سجنه وصعب معها الانتظار المرير دون أمل أو رجاء ، صاح الشاعر شاكياً مستغيثاً من جديد مذكراً مليكه أن غربته وكربه لا يفرجهما إلا من سجنه أطال سجنه :

أَبلِغِ النُعمانَ عَنّي مَألَكاً إِنَّني قَد طالَ حَبسي وَانتِظاري
لَو بِغَيرِ الماءِ حَلقي شَرِقٌ كُنتُ كَالغَصّانِ بِالماءِ اِعتِصاري
لَيتَ شِعري عَن دَخيلٍ يَفتَري حَيثُما أَدرَكَ لَيلي وَنَهاري
قاعِداً يَكرُبُ نَفسي بَثُّها وَحَراماً كانَ سِجني وَاِحتِصاري[5].

ونرى من خلال هذه الأشعار التي وصلت الينا من الشعر الجاهلي أن الشاعر كان يعاني من ويلات القيود الحديد التي كانت تحرمه من حريته ، وقساوة السجن الذي كان نهاية لأغلبهم .

4- طرفة بن العبد ،ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ،ط3 2002 ، ص 53 .

1 - واضح الصمد ، السجون آثارها في الآداب العربية في العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي ، ص 19 .

2 - المرجع نفسه ، ص 19، 20.

3 - حسن سليم نعيسة ، شعراء وراء القضبان ، دار الحقائق ، بيروت لبنان ، ط1 ،1986 ، ص 33 .

4- المرجع نفسه ،ص22 .

"كما سجن في هذا العصر شعراء آخرون أمثال : الشنفرة ، وأبو الطحان القسّي"[1] .

ب – في عصري صدر الإسلام والأموي:

تغيرت المعطيات الجديدة في عصري صدر الإسلام والأموي ، فتغيرت اسباب دخول السجن ايضاً ، وأصبح لهذه المؤسسة العقابية مفهوما آخر جديدا أكثر تنظيما من ذي قبل وقد أورد الرسول (ص) في شكله البدائي ، تم توسع فيه الخليفتان : عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وأضحت السجون في فجر الاسلام عبارة عن دهاليز فبل أن يشيد الإمام علي (رضي الله عنه) بيوتاً من قصب سميت " نافعا " ، وما إن أيقن عدم جدواها حتى بنى أخرى نعتها "مكيسا ".[2]

حيث سجن الخليفة عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة تأديباً له على هجائه الناس ، ومما قاله في سجنه :

ماذا تَقولُ لِأَفراخٍ بِذي مَرَخٍ حُمرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ وَلا شَجَرُ
غَيَّبْتَ كاسِبَهُم في قَعرِ مُظلِمَةٍ فَاِغفِر عَلَيكَ سَلامُ اللَهِ يا عُمَرُ
أَنتَ الأَمينُ الَّذي مِن بَعدِ صاحِبِهِ أَلقَت إِلَيكَ مَقاليدَ النُهى البَشَرُ
لَم يؤثِروكَ بِها إِذ قَدَّموكَ لَها لَكِن لِأَنفُسِهِم كانَت بِها الأَثَرُ
أَهْلي فـــدَاؤُكَ كم بِيْني وبينهُمُ مِنْ عَرْض دَّوِّيَةٍ يُفنَى بِهَا الحَجَرُ[3]

كما أن الخمر كان سبباً في الدخول إلى السجن في صدر الاسلام وبعده في زمن الخلافة الإسلامية وتكثر الامثلة على ذلك ، ونذكر منها قصة :

"... أبو محجن الثقفي الذي عاقبه عمر على الخمر مرارا فلم ينته ، فنفاه إلى جزيرة هرب في طريقه إليها ، والتحق بجند سعد بن أبي وقاص ، فكتب إليه عمر يأمره بحبسه ، فكان ينشد وهو يسمع بأخبار القتال :

كَفَى حَزَنًا أَنْ تُرْتَدِي الخَيْلُ بِالقَنَا وَأُتْرَك مَشدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ وَغُلِّقَتْ مَصَارِيعُ من دُونِي تُصِمُّ المُنَادِيا
...وللهِ عهدٌ لا أخِيسُ بعهدِه لَئِنَ فُرِّجَتْ أَلَّا أَزُورُ الحَوَانِيَا

1 – سالم معوش ، شعر السجون في العصر الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ط ،2003 ، ص43 .

2– يوسف العايب ،المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر (1954–1962) ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – كلية الادب واللغات ، دط، 2011 ، ص91 .

3 – الحطيئة ، ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان) ، ط1 ،1993 ، ص 107–108

وقد سأل امرأة سعد أن تفك وثاقه وتهبه فرس زوجها يقاتل به المشركين ويعود الى سجنه ففعلت ، فقاتل فأبلى بلاء حسنا ثم عاد إلى حبسه ، وكتب سعد إلى عمر بقصته فعفا عنه[1] .

يروه أن الشاعر عبد الرحمن بن حنبل " هجا عثمان ن عفان لأنه أعطى مروان بن الحكم أكثر مما يستحق من فيء "إفريقية " وكان هجاءً فأمر عثمان بحبسه في حصن "القموص" جبل بخيبر فقال يناشد علياً ويصف حاله هناك :

أَبَا حَسنُ غلاًّ شَديداً أكَابـــــدهُ إلى الله أشكو لا إلى الناسِ ماعدَا
قُتلتُ ، فمن للحقِ إن ماتَ ناشِدهُ أإن قُلتُ حقاً أو نشَدتُ أمانةُ

فكلم فيه علي عثمان فأطلق سراحه [2].

وكذلك في عهد خلافة عثمان بن عفان ، سجن الخليفة ضابئ بن الحارث البرجمي وبقي في السجن حتى مات ، وشعره الذي نظمه في السجن عبارة عن نفحة حنين ومشاعر متأسية تجسد مرارة الوحدة والغربة يقول فيها :

فإنّي وَقيّارٌ بهَـــا لغَريـــــبُ ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينةِ رَحْلُـــــهُ
رَشَادًا ولا عَنْ رَيْثِهنّ يَخِيبُ ومَا عاجِلاتُ الطّيْرِ تُدْنِي مِنَ الفَتَى

"... والشاعر يزيد بن مفرغ الحميري فمن شعره الذي نظمه بالسجن قصيدة قالها بسجن عبيد الله بالبصرة منها قوله :

دَارَ سَلْمَى بالخُبتِ ذي الأَطْلالِ كَيْفَ نومَ الأَسِيرِ ذي الأَغْلالِ
أَينَ منِّي السَّلام من بعد نـــــأي فارجعـــي لي تحيَّتي و سلامـــي
أينَ لا أيْنَ جنَّتي و سَلاحِـــــــي و مطايا سيّـــرها لا رْتِحَـــالي
لا وَصَومِي لِرَبنَا و زَكَاتِـــــــي وَ صَلاتِي أَدعو بِهَـــا و ابتِهَالي[3]

كما أفضت الكثير من العلاقات الغرامية بالشعراء الى السجن . ومن ذلك ما نجده عند الشاعر الأموي القتال الكلابي الذي أحب ابنة عمه و لم تتزوجه فظل يتشبب بها حتى سجن .

1- سكينة قدور ، الحبسيات في الشعر العربي الحديث ، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري قسنطينة ، دط ، 2007 ، ص41 . .42

2- المرجع نفسه ، ص 40.

3- براهيمي فوزية ،شعر السجون في الاندلس ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ، كلية العلوم واللغة والآداب ،دط ،2004 ، ص14 .

وقد تكون الشحادة سببا في دخول السجن إذا ما اكتنفتها الحيلة والرياء ، وهو ما تأكده المراجع عن الشاعر الأموي الحكم بن عبدل الأسدي الذي كان يستغل عاهته العرج واحدوداب الظهر في التسول ليلاً ونهاراً مع رفيق له يدعى " أبو علية " مصاب بعاهة العمى ، فسيق الى السجن معه ومما قاله في سجنه :

حَبّسِي وحَبّسَ أبي علي ةَ مِنْ أعاجيبِ الزمـــــانِ
أَعْمَى يُقَادُ ومُقعَـــــدُ لا الرِجلُ منهُ ولا اليدانِ

ويضاف إلى هذه الأسباب التي أوردت لبعض الشعراء في عصري صدر الإسلام والأموي أسباب أخرى نذكر منها التشبب بالنساء المحصنات القريبات من ذوي السلطان ، وكذا جرائم القتل والسرقة والغدر بذوي السلطان .

والهجاء الاجتماعي الذي بسببه دخل الشاعر المخضرم الحطيئة السجن حين هجا الزبرقان ، ومنه قوله :

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرّحَلْ لبغيَتِهَا واقعد فإنَكَ أَنْت َالطَاعِمُ الكَاسِي[1]

و في أواخر العصر الأموي يظلم الشاعر عبد االله بن معاوية بن أبي طالب و "هـــو فـــارس أموي، حاربه أبو مسلم الخرساني لعدم اعترافه بالسلطة العباسية، بعد سقوط الدولـــة الأمويـــة، فأقي عليه القبض و زج به في السجن قم قتل ، و من شعره بالسجن ما جاء في وصف حيـــاة السجين في قصيدة منها قوله :

إِلى اللَهِ فيما نابَنا نَرفَعُ الشَكوى فَفي يَدِهِ كَشفُ الضَرورَةِ وَالبَلوى
خَرَجنا مِنَ الدُنيا وَنَحنُ مِنَ اَهلِها فَلَسنا مِنَ الأَحياءِ فيها وَلا المَوتـــى
إِذا جاءَنا السَجّانُ يَوماً لِحاجَـــةٍ عَجِبنا وَقُلنا جاءَ هذا مِـــنَ الدُنيـــا
وَنَفرَحُ بِالرُؤيا فَجُلَّ حَديثِنـــــا إِذا نَحنُ أَصبَحنا الحَديثُ عَنِ الرُؤيا
قبرنا و لم ندفن و نحن بمعـــــزل عن الناس لا نخشى فنغش و لا نغشى[2]

جـــ – العصر العباسي :

لقد عرفت مؤسسة السجن في هذه الدولة تغييرا جديدا وضوابط صارمة وتنظيما محكما حسب قوانينها ،التي عرفت مزيدا من القوانين نظرا لتغير الحياة الاجتماعية ، والدارس للأحوال العامة لهاته الدولة التي قامت على الفتنة التي حدثت بين المسلمين ، ونتجت عنها حروب كثيرة . انتهت بالقمع والقتل والسجن .

و من شعراء العصر العباسي الذين ذاقوا مرارة السجن، فلم يزدهم الحبس إلا عنادا و تصلبا نذكر الشاعر علي ين الجهم البغدادي اتصل بالخليفة المتوكل، ثم نفر منه فحبسه" ، و في سجنه قال شعرا يفور تحديا و تصلبا، إذ يصور نفسه فيه سيفا لا يغمـــد و ليثـــا يـــربض بعرينه، و السجن في نظره ليس شرا كله، بل فيه خير لا يعرفه إلا من

1– يوسف العايب ،المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر (1954–1962) ، ص 40.

2– براهيمي فوزية ، شعر السجون في الاندلس ، ص 15 .

ابتلى به، و البـــدر لا يتجدد إلا أنه يختفي، لذا فالسجن عنده مدعاة فخر لمن لم يقترف الدنيا، و بيت يزار فيه نازله ولا يزور، و يتمثل لنا كل هذا في قوله :

قالَت حُبِستَ فَقُلتُ لَيسَ بِضائِرٍ حَبسي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغمَدُ

و مع هذه الأمثلة كلها، لم يشتهر شاعر عربي في مجال السجن و النفي، و نظم فيهما شعرا كشهرة أبي فراس الحمداني، فديوانه زاخر برومياته التي بث فيها معاناة الأســـر و الســـجن وشعوره الحاد بالغربة و الوحدة.

أسر الروم أبا فراس حين كان عائداً من الصيد مع حاشيته، فنقل إلـــى خرشـــنة ثـــم إلـــى القسطنطينية، و تباطأ سيف الدولة في افتدائه، فشق ذلك عليه، فأخذ يبعث إليه قصائد استعطاف و يستحث والدته على الصبر، و مما قاله :

مُصَابي جَلِيلٌ، وَالعَزَاءُ جَمِيلُ، وَظَنّي بِأنّ اللهَ سَوْفَ يُدِيـــلُ
جِرَاحٌ، تَحَامَاها الأُسَاةُ ، مَخوفَةٌ ، وسقمانِ : بادٍ ، منهما ودخيلُ
و أسرٌ أقاسيهِ ، وليلٌ نجومـــــهُ ، أرَى كُلّ شَيْءٍ، غَيرَهُنّ، يَزُولُ
تطولُ بي الساعاتُ ، وهي قصيرة ؛ وفي كلِّ دهرٍ لا يسركَ طولُ ![1]

و الشاعر عندما يخلو إلى نفسه بين جدران سجنه يتأمل حاله و مآله يقول شعراً رقيقاً يأسر النفوس، و لعلا أحسن مثال على ذلك مقطوعة من قصيدة مخاطبة الحمامة :

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبي حمامَـــةٌ : أيا جارتا هـــل تشعرين بحـــالي ؟
أيا جارتا ، ما أنصفَ الدهرُ بيننا ! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالـــي!
أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ ، ويسكتُ محزونٌ ، ويندبُ سال ؟
لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً ؛ وَلَكِنّ دَمْعي في الحَوَادِثِ غَالِ![2]

والشاعر أبو الطيب المتنبي ، " كان شاعرا يحمل نفساً بها ظمأً الى العلياء والمجد ، ولكن الدهر يعبس في وجهه فيشب ناقماً ثائراً ويقود تمرداً بين الأعراب ضد الوالي ، فيقبض عليه بأمرٍ منه ويلقى في السجن وهو في التاسعة عشر من عمره ، فعرف السجن بجدرانه القائمة وقيوده الثقيلة على يد لؤلؤ الإخشيدي والي حمص .

ومهما يكن فقد ألف المتنبي السجن رجلاً عظيماً أنفاً شموخاً ، استخف بأهواله وعذابه وهمومه ، وكان لهذا السجن سجَّان يدعى أبا دلف وكان صديقاً للمتنبي من قبل وفيه يقول :

أهْوِنْ بطولِ الثَّواءِ والتّلَفِ والسّجنِ والقَيْدِ يا أبا دُلَفِ

1- ابي فراس الحمداني ، ديوان ابي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ،1994 مـــ ، ص 252 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة 282 .

والشاعر يصور مأساة الرجال العظام اللذين تكرههم الأيام أن يرضوا ما يأبونه :

غَيرَ اختِيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ لِي والجُوعُ يُرْضي الأسودَ بالجِيفِ

وينطلق متحدياً العسف والاضطهاد ومتعاليا مستخفا بالسجن :

كُنْ أيّها السّجنُ كيفَ شئتَ فقد وَطّنْتُ للمَوْتِ نَفْسَ مُعترِفِ

ويبلغ الشاعر ذروة روعته في اعتذاره لنفسه بأن السجن دار العظماء في دروب نضالهم ، ومفخرة لهم :

لوْ كانَ سُكنايَ فيكَ مَنقَصَةً لم يَكُنِ الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدَفِ[1]

ولعل الشاعر ابن زيدون أحد الشعراء الذين تعرضوا للموت ، بسبب اتهامه بمحاولته القضاء على دولة أبي الحزم بن جهور ، أما شعره السجني فكان في أغلبه مدح ورجاء واستعطاف ، لكنه أحياناً يتأثر من وضعه المزري ومن شماتة الآخرين فيقاوم ويتحدى :

من يسألِ النّاسَ عن حالي فشاهدُها مَحْضُ العِيَانِ الَّذِي يُغْنِي عَـــنِ الْخَبَرِ
لَمْ تَطْـــوِ بُرْدَ شَبَابِي كَبـــرَةٌ وأرى بَرْقَ المَشِيبِ اعْتَلَى في عارِضِ الشَّعَرِ
قَبْلَ الثّلاثِينَ إذْ عَهْدُ الصِّبـــا كَثَبٌ وللشّبيبـــةِ غصـــنٌ غيرُ مهتصـــرِ
ها إنَّها لَوْعةٌ في الصَّدْرِ قادِحَـــةٌ نارَ الأسَى ، ومشيبي طائـــرُ الشّـــرر
لا يهنِءِ الشّامتَ، المرتاحَ خاطرُهُ، أنِّي مُعَنًّى الأماني ضائِـــعُ الْخَطَـــرِ[2]

نظم ابن زيدون هذه القصيدة في السجن ،وكان قد مضى عليه خمسمائة يوم ، وهو يمدح فيها الوزير ابن جهور ويشكو إليه سوء حاله :

بوّأ اللهُ جهوراً شرفَ السّؤدَدِ، في السّرو، واللُّبَابِ الصّميمِ
واحدٌ، سلّمَ الجميعُ لهُ الأمرَ، فكانَ الخصوصُ وفقَ العمومِ
قلّدَ الغمرُ ذا التّجاربِ فيهِ؛ وَاكْتَفَى جاهِلٌ بِعِلْمِ العَلِيـــمِ
خطرٌ يقتضي الكمالَ بنوعَيْ خُلُقٍ بَارِعٍ، وَخَلْقٍ وَسِيـــــمِ
أيّهَا الوزيرُ ! ها أنّا أشكُـــو، والعَصَـــا بدءُ قرعِهَا للحليمِ
مَا عَنَانَا أنْ يَأنَفَ السّابقُ المَرْبطَ في العتـــقِ منـــهُ والتّطهيـــمِ
وَبَقَاءُ الحُسَامِ في الجَفـــنِ يَثْنِي مِنْـــهُ بَعـــدَ المَضَاء، وَالتّصْمِيمِ
أفصبرٌ مئينَ خمساً مـــنَ الأيّامِ، نَاهِيكَ مِـــــنْ عَذَابٍ أليـــمِ!

1- حسن سليم نعيسة ، شعراء وراء القضبان ، ص 153 -154 .

2- ديوان ابن زيدون ، شرح الدكتور فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1993 ،ص107 .

وَمُعَنًّى مِـــــنَ الضّنَى بِهَنَاتٍ، نَكَأَتْ بِالكُلُومِ قَرْحَ الكُلومِ[1]

لقد تطور شعر السجون في الأدب العباسي بتطور الحياة العامة ، وشمل هذا التطور تعميق ، واستحداث موضوعات جديدة اقتضتها الحياة الجديدة . وان الكثير من الشعراء العظماء الذين سجنوا في هذا العصر، فجاء شعرهم في السجن رفيع المستوى عميق النظرة الى الحياة يحاكي الواقع الجديد الذي نشأ فيه .

د- شعر السجون في العصر الحديث :

إن نشأة شعر السجون في العصر الحديث ،كانت نتيجة حتمية لعدم استقرار المجتمع العربي ، نظرا للحملة الاستعمارية التي سلطت على أبناء شعبه ، وأديب إسحاق (1856-1885) . كاتب وشاعر ملتهب الذكاء ، عجيب الذاكرة ، ساهم في رفع لغة الصحافة ، لكن علة الصدر لم تمهله كثيرا فمات في الحدث بلبنان ، من أشهر مؤلفاته (الدُّرر) وهي منتجات من أشعاره وخطبه ومقالات ، فالشاعر رفض العيش في ظروف ميزتها الاضطرابات ، وجاء الشاعر في مقدمة الرافضين لتلك الأوضاع ، وقد مثل منعرجاً حاسماً ، ونقطة هامة في تاريخ الصراعات الفكرية ، و حمل بأفكاره الخاصة موضوع الحرية ، والديمقراطية والعدل والمساواة وإذا اردنا تعداد الموضوعات الخاصة بشعر السجون في هذه الفترة ، لوجدناها لا تخرج عن مواضيع الظلم والاستبداد والحرية والأوضاع الاجتماعية والسياسية وقضايا الاستعمار وقضية الأرض والوطن والهوية وغيرهما .

وأديب اسحاق من بين شعراء شعر السجون في عصر النهضة ونجد الشاعر (أديب إسحاق) والذي سجن بسبب تنديده الدائم بالظلم ومناوئته للاستعباد والاستبداد ، فهو في أحد قصائده يخاطب محمد سلطان باش الذي دفع به للسجن في قوله :

أَمَوْلاَيَ هذَا نظْـــمٌ حُرٌّ وَتَلْوُهُ كَلاَمٌ سجِينٌ أَ وثَقْتُـــهُ الأوَامْـــرُ
أَيُبْعَـــدُ ذُو فَضْلٍ وَيُدنَي مُنَافِقٌ وَسَجِينٌ وَافٍ حينَ يُطلقُ غَادِرُ
وَيُكْرَمُ جَاسُوسٌ مِنَ الصِّدْقِ حَائِدٌ وَيُظْلَمُ هُمَامٌ على الحَقِّ سَائِـــرُ[2]

والشاعر محمود سامي البارودي الذي عانى هو كذلك من ويلات السجن في سجن (سرنديب) . حيث قال في قصيدته التي عبر فيها عن الغربة الموحشة والوحدة القاتلة ، والظلام الحالك ، وهو يرقب صبحاً يأتيه فيـــه الفرج :

شفَّنى وجدى ، وأبلانِى السهَر وَتَغَشَّتْنِي سَمَـــادِيرُ الْكَـــدَرْ
فسوادُ الَّليلِ ما إن ينقضـــى وبياضُ الصبحِ ما إن ينتظَـــر
لا أنيسٌ يَسمعُ الشَّكوى ، ولا خبَرٌ يأتى ، ولا طيفٌ يَمـــر

1- ديوان ابن زيدون ، شرح الدكتور فرحات ، ص 281.

2- سالم معوش ، شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر ، ص58 .

بَيْنَ حِيطَانٍ وَبَابٍ مُوصَـــدٍ كلَّما حرّكـــهُ السَّجانُ صَـــرْ
يتمشَّـــى دونَـــهُ ، حتَّى إذا لحِقَتـــهُ نبأةٌ منِّى استَقَـــــر
كُلَّمَـــا دُرْتُ لأقْضِي حَاجَـــةً قالَت الظُلمةُ : مهلاً ، لا تَدُر
أتقرَّى الشَئَ أبغيـــهِ ، فـــلا أجـــدُ الشئَ ، ولا نفسى تقَر
ظُلمةٌ مـــا إن بِها من كوكبٍ غيرُ أنفاسٍ تَرامـــى بالشَرَرْ[1]

وماذا أمام الشاعر غير صبره ؟ فيهيب بنفسه أن تقر بقدرها المحتوم وتصبر على محنتها فالصبر مفتاح الظفر بإعتاقه وتحرره من سجن العذاب .فقال:

اصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي إنَّ حُسنَ الصبرِ مفتاحُ الظَفَر
هِيَ أَنْفَاسٌ تَقَضَّى ، وَالْفَتَـــى حيثُما كانَ أسيرٌ للقـــــدَرْ[2]

وكذلك الشاعر الصافي النجفي يقول في قصيدة يصف فيها بداية قصته الأليمة في السجن :

رَمَونَا كَالبَضَائِعِ في سُجُونٍ وَعَافُوا وَلَمَ يَبْدوا إِكْتِرَاثَاً
رَمُونَا في السُجونِ بِلا أثاثاً فأَصْبَحنَا لِسِجْنِهِمْ أَثَاثاً

ويقول مرحبا مفتخراً بسجنه الذي يحمل معنى قومياً سامياً ، إذ السَّجان سلطة استعمارية جاءت تدنس أرض الوطن الغالي وترابه المقدَّس ، وهي رمز الخِسَّة والنذالة :

أهـــلاً بسجني لشهراً أو لأعـــوامِ فإنَّمَـــا يـــومَ سِجني تاجُ أيامـــي
قضَّيتُ حرًّا ، حقوق النفس كاملةً واليوم في السجن أقضي حق أقوامي
إن يسجنوني فجرمي يا له شرفـــاً أنّي أحارب قومـــاً أهـــل إجرامِ
مُحمـــد كسَّرَ الأصنـــام شامخـــةً من لي بتكسير لوردات كأصنـــامِ
يكفيهمُ حطَّـــةً أن ليس يتبعهـــم منَّا سوى كـــل منحـــطَّ ونَّمـــامِ
يـــا دولـــةً يتســـاوى في نذالتـــه جنديَّها الفدْم في مندوبها السَّامـــي[3]

" وممن كتب وأبدع في هذا المجال الدكتورُ يوسفُ القرضاوي، الذي ألقى قصيدة نونية بمناجاة نظمها ليلـــة 27 رمضان عام 1369هـــ، 1949م بمعتقل الطور، وذلك عندما احتفل المعتقلون بهذه المناسبة، منها:

يا ربِّ، إنّ الطغاةَ استكبروا وبغَوا بغْيَ الذئابِ على قطعانِ حملانِ
يا ربِّ، كمْ يوسفٍ فينا نقيِّ يدٍ دانُوْهُ بالسّجنِ والقاضي هوَ الجاني

1- حسن سليم نعيسة ، شعراء وراء القضبان ، ص 178 .
2- المرجع نفسه ، ص نفسها .
3- المرجع نفسه ، ص 180.

يا ربِّ، كم من صبيٍّ صفَّدوا.. فمَضَى يبكِي كضفدعةٍ في نابِ ثُعبانِ
يا ربِّ، كم أسرةٍ باتتْ مشرَّدةً تشكُوْ تجبُّرَ فرعونٍ وهامانِ

وله فيها بيتٌ جميلٌ يقول فيه :

والليثُ لنْ تحنِيَ الأقفاصُ هامتَهُ وإنْ تحكّمَ فيهِ أَلْفُ سَجَّانِ

وليس لأحدٍ أن ينسى تلك القصيدةَ, قصيدةَ الشاعر هاشم الرفاعي (رسالةٌ في ليلة التنفيذ) التي يخاطب فيها أبـــاه، ويصوِّر السجن تصويراً عجيباً، بليله الحالك، وهدوئه المخيف، وصمته الذي يقطعه رنينُ السلاسل :

أبتاهُ، ماذا قد يخطُّ بَناني؟ والحبلُ والجلاّدُ منتظرانِ
هذا الكتابُ إليكَ مِن زنزانةٍ مَقرُورةٍ صخريّةِ الجُدرانِ
لمْ تبقَ إلاّ ليلةٌ أحْيَا بها وأحسُّ أنّ ظلامها أكفاني
ستمرُّ – يا أبتاهُ – لستُ أشكُّ في هذا، وتحمِلُ بَعدها جُثماني
الليلُ مِن حولِي هدوءٌ قاتلٌ والذّكرياتُ تمورُ في وجداني
ويهدُّني ألَمي، فأَنْشُدُ راحتي في بضعِ آياتٍ مِنَ القُرآنِ
والنّفْسُ بين جوانحي شفّافةٌ دَبَّ الخضوع بِها فهزّ كياني
شكراً لهم، أنا لا أريدُ طعامَهمْ فلْيرفعُوهُ، فلستُ بالجوعانِ
هذا الطعامُ المرُّ ما صنعَتْهُ لي أمّي، ولا وضعُوه فوقَ خوَانِ
كلاّ، و لمْ يشهدْهُ – يا أبتي – معِي أَخوَانِ لي جاءَاهُ يستَبِقانِ
مَدُّوا إليّ بهِ يدًا مصبُوغةً بدَمِي، وهذِي غايَةٌ الإحسانِ
والصَّمتُ يقطَعُهُ رنينُ سلاسلٍ عبثتْ بهنّ أصابعُ السّجَّانِ[1]

وأختم قصائد غياهب السجون بأبياتٍ عن الخروج منها إلى نور الحرّية.. في كلماتٍ للشاعر الإسلامي محمد محمود الزبيري – يرحمه الله:-

خَرَجْنا مِن السِّجْن شُمَّ الأُنُوفِ كما تخرُجُ الأُسْدُ مِن غابِها
نَمُرُّ على شَفَرَاتِ السّيوفِ ونأتِي المنيّةَ مِن بابِها
ونأْبَى الحياةَ إذَا دُنِّسَتْ بِعَسْفِ الطُّغاةِ وإرهابِها
ونحتقِرُ الحادثاتِ الكِبارَ إذا اعترَضَتْنَا بأَتْعَابِها
ونعلَمُ أنّ القَضا واقعٌ وأنّ الأُمُورَ بأَسْبابِها

1- مصطفى قاسم عباس ، شبكة الألوكة ،مقال ، شعراء في غياهب السجون ، 11/3/2009مـــ - 1430/3/14 هـــ . http://www.alukah.net/literature

سَتعلمُ أمّتُنا أنّنا ركبْنا الخطوبَ حناناً بها
فإنْ نحنُ فزْنا فيا طالَما تذلُّ الصِّعابُ لطلاّبِها
وإنْ نلْقَ حتفاً فيا حبّذا ال مَنايا تَجيءُ لخطّابِها"[1]

ومن هنا نرى ان موضوعات شعر السجون تعددت في هذه الفترة فكان من أهمها الظلم والاستبداد واغتصاب الأوطان وحريات الأفراد ، وحرمان الانسان من أدنى حقوقه والحنين الى الحرية .

ولعل أكبر تجربة لشعر السجون كانت في المغرب العربي ، إذ أن الشعراء قد انشدوا قصائدهم في ظروف قاسية دعت إليها نيران القهر والتسلط فكان الكفاح الذي خاضه الشعب ضد المستعمر في هذه البلدان كفاحا مريرا ، وأعتقد أن أهم تجربة ، هي تجربة الكفاح الذي خاضه الجزائريون ضد المستعمر الفرنسي . و الذي أراد ان يمحو الشخصية الجزائرية ، فاستعمل كل انواع التعذيب والقهر من أجل الوصول الى اهدافه وحارب العلماء ، والادباء ، والشعراء وكل من ينادي بالحرية .

فالتزم الشعراء بقضايا وطنهم مما جعلهم من المستهدفين ، فزج بهم في سجون المحتل ، فعبروا عن ذلك في قصائد شعرية ، زادتهم تمسكا بقضيتهم .

[1]– مصطفى قاسم عباس ، شبكة الألوكة ،مقال ، شعراء في غياهب السجون ، 11/3/2009مـــ - 1430/3/14 هـــ . http://www.alukah.net/literature

المبحث الثاني : شعـــر السجون عند الجزائرييـــــن

اذا أردنا الحديث عن شعر السجون في الجزائر كان لابد من الاشارة الى سبب بروز هذا الشعر وماهي أهم الموضوعات التي شغلت بال الشعراء داخل السجون وما هي دواعي سجنهم .

ان الحركة الاستعمارية التي ظهرت في تلك الفترة ، والتي اجتاحت المغرب العربي عامة ، و الجزائر خاصة ، جعلت الشعب الجزائري يعاني من ويلات الظلم والاستبداد والقهر وأقصى انواع العذاب من المستعمر الفرنســـي ، الذي أرد ان تكون الجزائر فرنسية ، فحاول أن يطمس الهوية الجزائرية وذلك بالقضاء على اللغة والدين والعـــادات والتقاليد وكان يقتل ويسجن ويعتقل من لا ينصاع الى أمره ، ونجد أن الطبقة المثقفة كانت مستهدفة بشكل كبير وذلك لعدم رضاها بما يحدث في الجزائر ، فأنشئت جمعيات من بينها جمعية العلماء المسلمين ، والتي كـــان دورهـــا ترسيخ ثوابت الأمة للشعب الجزائري وترسيخ الروح الوطنية ، فلم تسلم هي كذلك مـــن موجة الغضب ، الـــتي اجتاحت الشعب الجزائري .

ونجد ان الشعراء لم يسلموا من ذلك ، نظرا لتشبثهم بالدفاع عن الوطن ، فقام المستعمر الغاشم بزجهم في السجون ونفيهم ، وتعذيب بعضهم حتى الموت ، وهذا لم يمنعهم من التعبير عن قضيتهم ومساندتهم لشعبهم من داخل السجون ، فكتبوا قصائد قوية يعبرون فيها عن معاناتهم داخل السجون وعن دعمهم لقضايا بلدهـــم .

والقول هنا بوظيفة الشاعر أمر لا مناص من ذكره ، إذا قلنا إن الشاعر رائدٌ يتحمل مسؤولية كبيرة لمـــا يقوم به اتجاه قومه ، ووطنه ، واعتبرناه ذا رسالة في مجتمعه إيمانا بمكانته البناءة ودوره الايجابي في التطور والرقي .

ولأن الشاعر الجزائري قد وعى بهذا الدور ، وحاول أن يجسده بقلمه معبراً عن رفضه للاســـتعمار وهـــو مؤمن بما يفعل ، و هذا هو الحمل الذي وضع على عاتق الشعراء الجزائريين مؤمنين بدور الشعر في تحقيق أهـــدافهم ومساندة وطنهم وشعبهم .

وهذا ما نجده عند الكثير من الشعراء في الجزائر الذين عانو من ويلات سجون المستعمر الغاشم ، وذلك مـــن خلال أشعارهم ، ونخص بالذكر الشاعـــــر:

1-عبـــد الرحمـــن بـــن العقون : (1326هـــ- 1416هـــ) ، (1908مـــ-1995مـــ)

ولد الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون سنة 1908 ببلدية وادي الزناتي ، وبها حفظ القـــرآن الكـــريم وأتم الدراسة الابتدائية ، كما تتلمذ على الشيخ عمار مهري بين سنتي 1926 و 1933 حيث تدرب علـــى قـــرض الشعر وكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية .

ورغم نشأته في أسرة دينية ، فإنه انتسب الى الحركة السياسية (حزب الشعب) ، و لم ينظم الى حركة الإصـــلاح ، فكان من بين أعضاء لجنة المدارس الحرة التابعة لحزب الشعب الجزائري[1] .

كتب من قصائده في سجن " الكدية " ، بمدينة قسنطينة ، تحت تأثير حزازات حزبية وشخصية بين رفقاء من المساجين جعلت ضيق السجن ضيقين :

بارحات من سماءٍ تورثُ القلبَ العمى
وتضل العين أن لا تستبينَ الأنجمَا
إنَّني من ذا حزينٌ
فترات من حياةٍ بين عِدادِ الدمى
تملأ الرأس مشيباً وتهشُ الأعظما
سيمَا أنَّي سجينُ
ربَّ سِربٌ من ذبابٍ ظل لي نعمَ الأنيسُ
و"سنونو" في اتجاه كان لي نعم الرئيسُ
عندما يبدو سكون
وإذا أنَّ القطا كان لي نعمَ الغنَا
وحفيفُ الريحُ في الأشجارِ يستوحي الهنَا
لذرى قلبي الدفينِ
أستلذُ الصَّمْتَ قصداً عندمَا تعنو الرؤوسَ
وإذا فارقتُ صمتاً أقتلِ العمرَ النفيسَ
في اعتسافِ وفنونِ
في اصطخابِ من ملاهِ واشتباكِ من لعيبِ
اتحاشى مخزيات كنتُ مِنّهَا في شَغَبِ
مبعداً لفحَ الظنونِ[2]

سجن الكدية – قسنطينة -1955

[1]– علاوة ناصري ،البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي ، جامعة محمد خضر– بسكرة – كلية الادب واللغات ، دط، 2012–2013 ، ص85 .

2– المرجع نفسه ، الصفحة 86 .

وفي هذه الأبيات يعبر الشاعر عن حزنه ، فهو يعاني من ويلات الظلم والعذاب داخل هذه السجون ، التي لم يكن فيها أنيس يؤنس وحشته ، فهو يصف لنا حالة السجن معبرا بكل صدق ما يعانيه في غياهب السجن .

2- محمد العيد آل الخليفة : (1322هـ-1399هـ)(1904م-1979م) .

يعد محمد العيد آل الخليفة أحد الأسماء البارزة في الحركة الأدبية الجزائرية الحديثة ، وهو في شعره ، يمثل وجدان الشعب الجزائري أكثر من خمسين سنة .

ولد بمدينة عين البيضاء وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ، ثم انتقل الى بسكرة عام 1918م وفي سنة 1921م اتجه الى تونس ليواصل تعليمه بالزيتونة التي كانت على الدوام قبلة لكثير من الجزائريين ، ينهلون من علمها ، وليعود بعد سنتين الى الوطن ليبدأ نضاله السياسي بما كان ينشر من قصائد في الجرائد الوطنية التي فتحت صفحاتها لكير من الشعراء الذين أدركوا خطورة ما يحاك لهذا الشعب من الدسائس ، ولتكن قصائدهم نورا يضيء ما حوله .

وفي سجنه واقامته الجبرية ،حرم من حق حرية الاجتماع ، وطوق برقابة شديدة الى غاية انفراج الوضع واستقلال البلاد ، قال قصيدتين يصف فيهما حاله ، وكله أمل بغد مشرق.

أما القصيدة الأولى فعنونها :"**مناجاة بين أسير وأبي البشير**" التي استوحى بعض معانيها من سجن أبي فراس الحمداني (922م-968م) يقول فيها وهي ستة وثلاثون بيتاً من الوافر[1] .

جزمتُ بقُرب إطلاق الأسير غَداةَ سمعتُ صوتَ (أبي بشيـــرِ)
فقُمت مرحِّبـــا بنَزيل يُمْـــنٍ علـــيَّ بكـــلِّ إكـــرام جَديـــر
وجئْت أَبُثُّه نَجْواي ســـــراً ومَـــنْ للحُرِّ بالصَّوت الجَهيـــر
أناجيه بآمالي وحَـــــــالي وأَستَفْتيه عـــن شَعْبي الكَسيـــر
كما نَاجَا الأَميرُ أبو فِراس حَمَامَتَـــه بشعْـــــر مُسْتَثيـــر
فقلتُ أبا بَشيرٍ أنت ضَيْفٌ قـــراك الشِّعرُ لا حَـــبُّ الشَّعير
رأيتُك فابْتهَجْتُ فكن سَميراً لمُشتـــــاقٍ إلَى سَمَـــر السَّميـــر
ووَاع ما تَقُول ورُبَّ مصْغ لصوْتـــكَ مَـــا وَعَى غيْرَ الصَّفير
أراك أبا بَشير ضيفَ خيـــر وطائـــــرَ رحْمـــةٍ للمُستَـــخير
وكل سِفارةٍ لكَ فهْيَ بُشرى فأَهْـــــلاً بالسَّفـــارة والسَّفير[2]

فكتب الشاعر القصيدة ، وهو يعاني مرارة الوحدة القاتلة . وإذا به يسمع صوت طائر صغير في حجم عصفور

1- علاوة ناصري ،البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي ،الصفحة 100.

2- مكتب الدراسات ، ديوان محمد العيد آل الخليفة ، دار الهدى ،عين مليلة الجزائر ، دون طبعة ، 2010 ، ص 385 .

يعرف باسم (أبي البشير) يستبشر الناس عادة برؤيته وسماع زقزقته ، فتهيجت شاعريته وفاضت نفسه وتجاوب مع الطائر مثلما تجاوب غيره من الشعراء السابقين والمعاصرين له مع شتى أنواع الطيور ، وخفقت قلوبهم لها بمجرد سماع أصواتهم أو رؤيتها تحوم حولهم .

وأما القصيدة الثانية فعنوانها : " **أبا المنقوش** " وهي ثمانية وعشرون بيتا من الوافر يقول فيها :

أبا المنقوش هـــل تدري بحالي ؟ فأنت اليوم جاري في الجبال
ببسكرة النخيل خططت رحلي وأنت بأرضها حامي الرحال
رأيتـــك مشرفـــا أبدا عليهـــا كإشراف الـــولي على العيال
رماني حول سفحك موج دهري أسيرا بعـــد أحداث طـــوال
فعشت بـــه كيونس في سقـــام لدى قومي ولكن في انعـــزال
إخـــال إقامـــتي خبـــرا كقبـــر حملت إليـــه كالجثث البـــوالي[1]

وهذه القصيدة هي مناجاة الشاعر لجبل (بومنقوش) ، القريب من بسكرة جنوب الجزائر أيام إقامته الجبرية .

3-مفدي زكرياء : (1326هـــ-1397هـــ)(1908مـــ -1977مـــ)

واسمه زكري ولقبه الشيخ ، اشتهر بمفدي زكرياء وهو اللقب الذي أطلقه عليه زميله في الدراسة سليمان بوجناح ، فأصبح لقبه الأدبي اشتهر به .

ولد يوم الجمعة 12 جمادي الأولى 1326هـــ الموافق12جوان 1908مـــ ببني يزقـــن بولاية غرداية حيث تلقى دروسه الأولى في القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية ، انتقل مع والده الى عنابة وأقام بها من سنة 1915 مـــ الى سنة 1922مـــ .التحق بالبعثة الميزابية بتونس سنة 1922مـــ فواصل دراسته هنالك في مدرسة السلام والمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة وعاد الى الجزائر سنة 1926 .

أثناء وجوده بتونس ، جمعته صداقة حميمة بالشاعر أبي القاسم الشابي ، وبالشاعر رمضان حمود الذي كان زميله في البعثة . انضم الى صفوف الحركة الوطنية مند شبابه ولحقه الاضطهاد والسجن بسبب ذلك أكثر من مرة .كان مناضلاً نشيطاً في صفوف جمعية طلبة إفريقيا المسلمين ، وحزب نجم افريقيا الشمالية ، وحزب الشعب ، والانتصار للحريات الديموقراطية وأخيراً جبهة التحرير الوطني الجزائري .

-قصته مع السجون :

وجهت إليه السلطة الفرنسية وللسيد لحول حسين سنة 1936مـــ تهمة التآمر على أمن الدولة بعد إلقائهما لمحاضرتين باسم النجم في مدينة البليدة ، ثم حلت حزب النجم في السنة الموالية .

1- مكتب الدراسات ، ديوان محمد العيد آل الخليفة ، ص 388.

وفي سنة 1937مـــ ألقي القبض على مصالي الحاج رئيس الحزب ،ورئيس اللجنة التنفيذية مفدي زكرياء الذي بقي في السجن الى غاية 1939مـــ .

وفي السنة الموالية لخروجه ، اعيد الى السجن مرة أخرى لستة أشهر بتهمة المساس بأمن الدولة .

وبعد أحداث 8 ماي 1945مـــ دخل السجن مدة ثلاثة أشهر ، وفي سنة 1949 مـــ دخل السجن بسبب انضمامه لحركة انتصار الحريات ، عاد الى السجن سنة 1951مـــ لمدة ستة أشهر .

حكمت عليه المحكمة العسكرية يوم 19 أفريل 1957مـــ بغرامة مالية ومصادرة أمواله والسجن ثلاث سنوات .

-نتاجـــه الأدبـــــي :

لمفدي زكرياء انتاج كثير جمع فيه بين الشعر والنثر ، وله :

-اللهب المقـــــدس 1961 مـــ.

-اليادة الجزائـــــــر 1972مـــ .

-تحت ظلال الزيتون 1966مـــ.

- من وحي الأطلس 1976مـــ.[1]

لم يكن السجن بالنسبة لمفدي زكرياء غير فضاء تنبثق منه القصائد الشعرية الثورية المعبرة عن صموده وشجاعته واقباله عن كشف مساوئ الاستعمار وجرائمه النكراء .

ولغل الشاعر مفدي زكرياء كان من أكبر الشعراء عطاءا شعريا حتى سمي بشاعر الثورة ، وقد قضى وقتا طويلا في السجون الفرنسية كما سلف الذكر ، ويعرض في ديوانه اللهب المقدس ألوان العذاب والذل التي شهدها كما عرض في المقابل عزيمته ونضاله الدائم فكان ثائراً قبل أن يكون شاعراً[2] .

فقال في قصيدته " **زنزانة العذاب رقم 73** " بعد ان زج به في زنزانة مظلمة بسجن بربروس اثر أن ألمته ((زبانية العذاب)) للسجانين يوم 28 ابريل 1955 مـــ فهاجت في أعماقه المواجد ، ونظم هذه القصيدة في ظلام الزنزانة وحفظه بيتا بيتا لاستحالة كتابته .فيقول :

سيـــانٌ عنـــدي ، مفتـــوحٌ ومنغلق ... يا سجنُ ، بابك ،أم شدت بِهِ الحلقُ

أم السياطُ ، بهـــا الجـــلادُ يلهبـــني ... أم خازنُ النارُ ، يكـــويني فأصطفقُ

والحوضُ حوضٌ ، وإن شتى منابعـــهُ ... ألقى الى القعرِ ،أم اسقى فأنشَـــرِقُ

سرِّي عظيمٌ ، فلا التعذيبُ يسمحُ لي ... نطقاً ، ورُبَّ ضِعَافٍ دونَ ذا نطقوا!

يا سجنُ، ما أنتِ ؟ لا أخشاكِ، تعرفني ... منْ يحذِقِ البَحْرَ ، لا يحدِقْ بِهِ الغرقُ

1- علاوة ناصري ،البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي ، ص 102 .

2- عمر بوقرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ، منشورات جامعة باتنة ، دط ،1997 ، ص88 .

إني بلوتــكَ في ضيــقٍ ، وفي سعــةٍ وذُقتُ كأســكَ ، لا حقدَ ولا حنقُ
أنــام مــلءَ عيوني ، غبطــةً ورضى على صياصيــكَ ، لا هــم ولا قلقُ
طــوعَ الكرى ، وأناشيدي تهدهــدني وظلمــةُ الليــلِ ، تغريــني فأنطلــقُ
والــروح تهــزأُ بالسجــانِ ساخــرةُ هيهــاتَ يدركهــَا ، أيــانَ تتزلــقُ
تنســابُ في ملكــوتِ اللــهِ سابحــةُ لا الفجرَ ، إن لاحَ ، يفشيهَا ولا الغَسَقُ[1]

وهذه الأبيات تصف لنا صورة حزينة لمكان خاص يموج بألوان العذاب من (سياط وكي وأحواض مائية ، وأغلال ، وغياب النوم ، وظلمة الليل) إلا أن الشاعر تحدى كل هذه الآلام ، والتصدي لها يعني الوصول الى الهدف الأسمى وهو الحرية والاستقلال .

وفي قصيدته الذبيح الصاعد تصعيد للهيب الثورة وتحبيب في الجهاد والشهادة في سبيل الله والوطن ، وذلك أثناء تنفيد حكم الاعدام على أول شهيد دشن المقصلة المرحوم أحمد زبانة وذلك ليلة 18جوان 1956مــ قال فيها :

قــامَ يختــالُ كالمسيــحِ وئيــداً يتهادى نشوانَ ، يتلــو النشيــدَا
باسم الثغرِ ، كالملائكِ ، أو كالطِّ فلِ يستقبــلُ الصباحَ الجديــدَا
شامخــا أنفــه ، جــلالا وتيهــا رافعا رأســه ، يناجي الخلــودا
رافــلا في خلاخــل ، زغردت تملأ مــن لحنهــا الفضــاء البعيــدا!
حالمــا ،كــالكليــم ، كلمــه المجــ ــد ،فشــد الحبال يبغي الصعودا
وتسامى ، كالروحِ ، في ليلةِ القــدرِ سلامــاً يشــعُ في الكونِ عيــدَا
و امتطــى مذبــحَ البطولــةِ مــعــ راجاً ، ووافى السماء يرجو المزيــدَا
وتعــالى ، مثــل المــؤذنِ ، يتــــلو... كلمات الهدى ، و يدعو الرقــودا
صرخــة ن ترجــف العــوالم منهــا ونــداءً مضــى يهــزُ الوجــودا :
"أَشنقــوني ، فلســت أخشــى حبلاً واصلبوني ، فلســت أخشــى حديدا"
"وامتثــــل سافــرا محيــاك جــــلاّ دي ، ولا تلثــم فلســت حقــودا"[2]

وهناك قصائد كثيرة كتبها الشاعر مفدي زكرياء في السجن من بينها : نشيد الشهداء ، وقال الله ، وتعطلت لغة الكلام ، حروفها حمراء ، واقرأ كتابك ، ونشيد (فاشهدوا) ، ونشيد جيش التحرير الجزائري ، ونشيد بربروس ، وبنت الجزائر وهي قصائد من ديوانه اللهب المقدس .

1- مفدي زكرياء ، ديوان اللهب المقدس ،المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الرغاية الجزائر ،(د.ط)، 2007 ، ص 25 .26 .
2- المصدر نفسه ، ص 17 ، 18 .

ولقد كان السجن مصدر الهام لشعراء في تلك الفترة يعبر بصدق ما كان يعاني منه الشاعر في السجون والشعب عامة داخل السجن وخارجه .

4- الأمير عبد القادر : (1222هـ - 1300 هـ) (1807م -1883م)

ولد الأمير عبد القادر عام1807م ، ونشأ في مزرعة أجداده (القيطنة) بوادي الحمام الخصيب بضواحي مدينة وهران ، درس اللغة العربية وحفظ القرآن في مدرستها ، ثم أرسله والده للالتحاق بإخوته بمعاهد وهران وتونس والزيتونة. يمتد نسبه من الإمام إدريس الأكبر ابن عبد الله بن الحسن حفيد رسول الله صلى الله عليه و سلم ,الذي دخل المغرب العربي عام 172 هجرية وبايعته القبائل ، فأقام مملكة قوية و شيد مدينة فاس كعاصمة لمملكة امتدت حتى عام 459 هجرية حينما كثرت المنافسة على الحكم ,فانتصر بني الأغلب على محمد المستعلي بن عبد الله حفيد إدريس الأصغر وانتزعوا منه حكم البلاد ، فانقرضت دولة الأدارسة و التعاقب على الملك .

ولكن من الطبيعي أن لا تنتهي كسلالة في المغرب و الجزائر، فمن هذه السلالة الشريفة كان والد الأمير عبد القادر سيدي محيي الدين ، قاد مقاومة قوية عام1830م ضد الغزو الفرنسي للجزائر ، فرأى الشعب فيه رجلاً مسموع الكلمة مؤهلاً لحكم البلاد بعد فشل مقاومة الداي حسين واستسلامه ، فبايعته القبائل عام 1832 مـــ على الحكم وقيادة المقاومة. اعتذر مرتين ولكن بعد أن ألزموه رشح لهم أحد أولاده وهو عبد القادر الذي كان في الرابعة والعشرين من العمر ، فبايعته القبائل بالإجماع في الثالث من رجب عام 1248ه 1822مـــ , وهو تاريخ تحتفل به الجزائر بعد الاستقلال كل عام حتى الآن ، أسس الأمير عبد القادر دولة إسلامية قوية ، ونظم جيشاً وطنياً وقف في وجه أكبر دولة برية في العالم في ذلك الزمن موقف الند ، وكبد الغزاة خسائر فادحة أفقدتهم الأمل بالسيطرة على البلاد ، فعمد هؤلاء الغزاة إلى تفتيت الوحدة الوطنية التي أسسها الأمير تحت راية "الله أكبر" لمدة سبعة عشر عاماً، وهي مدة حكمه, واتبعوا أيضاً سياسة الأرض المحروقة والترغيب والتهديد ، والجيوش الجرارة بأحدث الأسلحة. وكل تلك الخطط لم يجدوا فيها نفعاً فالتجأ ساستهم إلى سلطان المغرب وبالتهديد باحتلال مدنه وأجبروه على عقد اتفاقية معه لمنع وصول أي مساعدات لقوات الأمير وكتابة رسائل بخطه إلى زعماء القبائل لتحذيرهم من مساندة الأمير, وتكليف المخبرين بالتفتيش عن الزمالة ومكانها وتدميرها مما اضطر الأمير لخوض معارك دفاعية دامية خارجة عن نطاق مخططاته دفاعاً عن حصنه المتنقل (الزمالة) وقواته المجاهدة ، وآخر معركة دفاعية كانت ضد قوات نظامية للدولة الشقيقة على ضفاف نهر ملوية وهي الحدود الدولية الفاصلة بين الدولتين شاهد فيها فرسانه يتساقطون برصاص أخوة لهم بالدين والجوار، وعلى الرغم من انتصاره في تلك المعركة إلا أنه ومن بقي معه من قادة جيشه وجدوا بعد دراسة المستجدات أن وجه الحرب قد تغير وبات الغزاة في سعادة واطمئنان بفتح هذه الجبهة الإسلامية العربية بوجه الأمير وجيشه الوطني ,فقرر الأمير ومن كان معه وقف الحرب وسفك دماء المسلمين وقتل الأخ لأخيه في الدين والجوار ، ووقف تلك المهزلة وليس وقف مقاومة الغزاة التي ترك رايتها بيد الشعب ثم الهجرة الشرعية والعودة في ظروف تناسبه ، وافق العدو على وقف الحرب ً وعلى خروج

الأمير من الجزائر من غير معوقات ومن غير شروط ، فعقدت اتفاقية رسمية بين الطرفين خرج الأمير بموجبها من البلاد متجهاً إلى عكا ، ولكن أثناء الطريق جاء أمر لربان الباخرة بتغيير وجهتها نحو فرنسا ومدينة طولون ، لقد قرأت فرنسا أفكار الأمير بالعودة إلى الجزائر فألغت الاتفاق وغدرت به .

وهكذا اختطف الأمير وأهله وحاشيته ، وأخذوا سجناء إلى قصر أمبواز في مدينة (بو) على سواحل نهر اللوار، ظل سجينا فيها مدة خمس سنوات إلى أن وصل نابليون إلى سدة الحكم في فرنسا فزار الأمير في سجنه متأسفاً معتذراً عن نقض الاتفاقية من قبل الحكومة السابقة وسلمه صك الإفراج وعرض عليه مبلغ كبير يدفع له سنوياً كتعويض على حجز حريته والغدر به ، فقبل الأمير التعويض كمنحة من الله وعد بها الله تعالى المجاهدين والمهاجرين في سبيله.

أما الإمبراطور فقد أراد بها كسب ود الأمير وجعله صديقاً ، ولكن الأحداث أثبتت أن هدف نابليون بالنسبة للأمير كان مستحيلاً وبلاده تئن تحت سياط الغزاة من جنود نابليون ، و لم يقتصر الموضوع عند ذلك المبلغ وإنما كان هناك احتفالات أقامها الإمبراطور في باريس لوداع الأمير .

وفي مرسيليا اصطف أربع فرق بألبستهم العسكرية الرسمية تحية للسجين ,وأطلقت المدافع قبل صعوده إلى الباخرة التي نقلته إلى اسطنبول لمقابلة السلطان عبد المجيد خان حسب طلبه , اختار الأمير مدينة بروسة كمكان لهجرته ، ولكن عندما كثرت فيها الزلازل اختار دمشق التي دخلها باحتفال كبير شعبي ورسمي كأحد كبار الفاتحين الأقدمين ، وعاش فيها مكرماً مبجلاً كمهاجر وليس منفي كما يشاع ، داعياً لنشر العلم الشرعي واللغة العربية محارباً للبدع متخذاً من كتاب صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك منهجية تربوية لخدمة المجتمع الإسلامي وتعميق الأيمان .

وبقي هناك إلى أن توفاه الله بعد سبعة وعشرين عاماً قضاها مهاجراً في دمشق حتى عام 1300هجرية و1883ميلادية رحمه الله[1] .

- آثـــــــاره :

- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل .
- المـــــواقف – مخطـــــــــوط-
- وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب .
- المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والالحاد .
- مذكرات الأمير عبد القادر –مخطوط-

[1]- الأميرة بديعة الجزائري ، لمحة عن تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري ، الأحد 06 رجب 1433هـ ، 27-5-2012م , 12:20 ،الرابط http://binbadis.net/archives/497

- ديـــــــوان شعـــــره .

- شعـــره داخـــل السجـــــن :

ضاقت روح الشاعر في الأسر والتشوق الى أهله وأصحابه وأوطانه ولكن المزار بعيد ومحرم ، فكان يرسل توسلاته الى الله وحده متشفعاً بالرسول الكريم ، وقصيدة **عذاب الأسر** واحدة منها يقول فيها :

مـــاذَا علـــــى سادتنَا ، أهْلُ الوفَا لو أرسلوا ، ضَيفَ الزيارةِ ، في خَفَا
يترصَّـــد الرقبـــاءَ ، حتَّى يغفلـــوا ويكونُ مَانـــعَ وصلِنَا ، ليلاً ، غَفَـــا
فـــإذا تمكنـــت الزيارة ، خفيـــةً يأتـــي مـــواعدَ وصلنـــَا ، مُتَلطفـــَا
ويكـــون ، قبل حلـــوله ، أَفرشتهُ خـــدي . وطـــاءَ للنعَـــالِ ، ولِلحَفَا
ويكونُ ، بيتَ نزولهِ ، قلبي ، الذي - وحياتُهُـــم – مِنْ حب غيرهم ، عَفَا
ضيف ، لـــه نزلُ لديَّ ، كرامـــةً كَبِدٌ ، شواهَا البعـــدُ ، في جمرِ الجَفَـــا[1]

وقال أيضاً في قصيدتـــه **منـــوا بلقياكـــــم** :

فإنْ كانَ هَذَا البُعدُ تَأديبَ مُذنبٍ فإنَّا بِهذَا القَدْرِ ، صِرْنَا على شِفَـــا
وإنَّا لَنَخْشَى إنْ تُطَاولَ بُعْدُكُـــمْ يَصِيْرُ لَكنا تَسْفَى عَلِيْنَا . إذا سَفَـــا[2]

ونرى في هذه الأبيات التعبير الصادق عن حالته النفسية المكوية بنار فراق الأحباب و الوطن ، وذلك بإحساسه الرهيب بالوحدة والغربة .

5- الشيخ أحمد سحنون :

الشيخ أحمد سحنون هو موضوع بحثنا لذلك خصصنا له فصلاً كاملاً من بحثنا ، وهو الفصل الثاني .

1-ديوان الأمير عبد القادر ، شرح وتحقيق ممدوح حقي ، دون طبعة ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1960 ، ص 99 .
2- المصدر نفسه ، ص 40 .

المبحث الأول : الشيخ أحمد سحنون حياته وأهم نشاطاته

أولا : المولـــد والنشـــأة :

ولد الشيخ أحمد سحنون سنة 1907م في قرية ليشانة وهو ابن سحنون ابن ابراهيم ، وأمـــه عائشـــة مكي بنت الحاج بلقاسم بن الطالب مكي توفيت والدة سحنون وهو رضيع ، بعد أشهر من ولادته [1]كانـــت أول محنة عاشها الشيخ ضلت طول حياته معه حيث يقول : " طيلة حياتي انا اتمنى ان أرى وجه أمي في المنام ، دعوت وصليت لكي يجمعني الله بها في الجنة " ، هكذا قال للمقربين منه . بعد وفات أمه تولت عـــدة نســـاء ارضاعه تقول ابنته عائشة سحنون ذات مرة قال أبي لو أبحث لأجد أن ابناء ليشانة اخوة لي في الرضاعة .

بعد ذلك تكفلت زوجة الأب بتربيته وكان لوالد الشيخ سحنون زوجتين وأنجب اثنا عشر ولدا لم يبقـــى الا خمسة أولاد منهم ثلاث ذكور : محمد وصالحي وأحمد وبنتان هما عيشوش والزهرة[2].

ولعدم اعتناء زوجة والده به ، تكفل أبوه بتربيته وحاول أن يعوضه حرمانه من عاطفة الامومة ، فكان شديد الاعتناء به وكثيرا لصحبته بحيث كان لا يكاد يفارقه في جل وقته ألا قليلا ، فغمـــره بعاطفتـــه وربـــاه أحسن تربيته وزوده بنصائح وتوجيهات كان لها عظيم الأثر ، في تكوينه النفسي وبنائه العقلي[3].

كانت عائلة سحنون من أوسط الناس ، وكان والده يلقب بالإمام ، ألا أنه لم يكن إمام القريـــة بـــل كان يعلم القرآن لطلبة في مكان اسمه الدكان (زوية) يشرف عليه كل الطلبة وكان يخلف امام المسجد في حالة غيابه وتخرج على يديه 600 حافظ للقران و لم يكن يأخذ أجرا على ذلك ، حيث كان يقول اجري هـــوان تقرؤوا القرآن على روحي .

– زوجاته وأولاده :

تزوج سحنون ابنة عمته السيدة قرمية بابا ، انجبت له أربعة أولاد وهم : محمد ، رجاء ، عائشة ، زينب وفوزية وسعيدة وهذه الاخيرة توفيت ، وانجبت كذلك اثنين لم يكتب لهما الحياة وهم عمر وعائشة ، توفيت قرمية سنة 1987م. وتزوج الشيخ بالحاجة فاطمة الزهراء عليوات و لم تنجب له أطفالا .

كانت علاقة الشيخ بأولاده علاقة رائعة تصفها لنا ابنته عائشة سحنون عن والداها واستحضارها لذكريات الطفولة في كنف والد داعية لسبيل الله، أخذته مع الأيام هموم العالم ومشاغله، أحسنت عندما لخصته في قولها

1- محمد دراجي ، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر ، دار قرطبة ، لنشر والتوزيع ، ط1 ،الجزائر ، 2013 ، ص15 .

2- عبد القادر صيد ، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ،بسكرة ، الجزائر ،2003 ، ص61.

3- محمد دراجي ، المرجع السابق ، ص15 .

لو لم يكن الشيخ سحنون والدي لتمنيت أن يكون والدي.

أما عن العالم فلم تحك كثيرا، لأن طلبته ورفاقه تولوا المهمة، لكن عن الأب فقالت : لم يحرمنا الحنان، كان صديق أبنائه.. يسر إلينا، يدللنا ويلاعبنا، وكان يأخذ اللقمة من فمه ويذيقنا من صحنه، مع أننـــا كنـــا نأكل نفس الأكل، إنما كان يقول على سبيل الدعابة: ذوقوا من هذا أظن أنه أطيب مما عندكم.

كان أحب أسلوب لديه أن يفاجأ أبناءه وهم أطفال حسبما تروي عائشة "كان يفاجئنا بالشيء الـــذي نحبه مثل أن يخفي لي التفاح الذي اشتراه لي في غرفة الاستقبال، وسط حبات الفاكهة غير الحقيقية التي وضعتها أمي للتزيين، وكم كنت أفرح عندما أبحث فأكتشف التفاحات الحقيقة من بين المزيفة.

كلهم كانوا في كفة وعائشة في كفة أخرى، فهي البنت الوسطى " سماني على اسم والدته التي لم يرهـــا قط، لأنها توفيت عندما وضعته، وبقيت ذكراها غاية عنده يحمل لها الشوق.

بل وضع عائشة الصغيرة موضع عائشة الوالدة ،كان يقول للجميع هذه عائشة بنـــت المكـــي، وهـــي جدتي، كنت كاتبته وكاتمة أسراره ومستشارته، يستشيرني في أزمة مع صديق، خصومة بين الناس أو موقـــف مع الحكومة، وحتى في مشاكل العائلة كان يطلب مني الرأي .

وكتفسير لمكانتها الخاصة بين إخوتها، 4 بنات وابن واحد، تقول عائشة "ربما لأنني بين إخـــوتي الـــتي حفظت القرآن وعمري 10 سنوات، مع أنه تعذب معي في الأول، فأوكل المهمة لأختي الكـــبرى المرحومـــة سعيدة، التي حفظتني حزبا، وبعدها تحررت الملكة عندي وكنت أحفظ دائما المزيد، وكـــان يختـــبر معارفنـــا باستمرار حتى على سبيل الدعابة.

الشيخ لم يكن متزمتا ولا قاسيا مع أهل بيته "كان يناقشني في ما أقرأ لعبد القدوس ويوسف الســـباعي وعبد الحليم عبد الله وناجي إبراهيم ونزار قباني، وكلها كانت كتبا في مكتبه . وعلى سبيل المثال ساقت لنـــا عائشة مثالا "في يوم تجادلنا حول إحسان عبد القدوس، وكنت أدافع عن كتابه وكـــان بالمقابـــل يقـــول لي: الأفضل أن تأخذي الحكمة من كتب أخرى، واستمررت في الدفاع عن رأيي حتى قال لي: لـــو كـــان عبـــد القدوس نفسه لما أحسن الدفاع عن نفسه بهذا الشكل"، وتوافقت رؤية عائشة مع رؤية الشيخ الغزالي رحمه الله "عندما قابل الشيخ الغزالي وجد عنده نفس الرأي عن إحسان عبد القدوس فجاء ليخبرني بذلك.

وعن أسرار شخصية، قالت البنت الوسطى كنا نكتب ما نحتاج من أغراض البيت على ورقة، وعندما يأتي الشاب المكلف بالتسوق ندفعها إليه من تحت الباب، لكنني كنت أدفع معها ورقـــة صـــغيرة خاصـــة بي وباحتياجاتي، لأنني أعلم أن والدي لا يرفض لي طلبا[1].

1-نفائس المدرسة الجزائرية ، https://www.nfaes.net ، 2018/04/07 ، 17.55

الشيخ سحنون يحب الأكل الجيد الدسم "بوزلوف" كان أفضل أطباقه، لكنه كان لا يحب أن يأكله مع الضيوف، لأنه مع هذا الطبق بالذات يحب أن يأخذ كامل راحته، يأكله بنهم ويكدده عظمة عظمة ، وكذلك الحال بالنسبة للحلويات المسكرة، التي كان يحب أن يختلي بها.

كان الشيخ سحنون رحمه الله نعم الوالد الحنون الذي يخفض طرفه لأبنائه مثلما عرفنا من ذكريات طفولة عائشة، التي أكدت أنه رغم وجود أخيها رجاء "الذكر الوحيد" بين 4 بنات والذي جاء بعدها، إلا أن عرشها لم يتزعزع مثلما هو حال البنات في حضور الأولاد، لأنها كانت في نظر الشيخ والدته عائشة بنت المكي[1].

ومن الملاحظ أن الشيخ أحمد سحنون كان حنينه لأمه كبيرا ، رغم أنها ماتت وهو رضيع ، فلم ينل من حنانها الا القليل ، والدليل على ذلك تعلقه بابنته عائشة ، التي كان يرى فيها والدته .

[1]- نفائس المدرسة الجزائرية ، https://www.nfaes.net ، 2018/04/07 ، 17.55

– حياته العلمية ورحلاته

–تعليمـــــه :

عائلة سحنون من العائلات التي توارثت العلم صغيرا وكبيرا ، أبا عن جد سار الشيخ أحمد سحنون على خطاهم وكانت خطواته الأولى انتظامية في حلقة والده فحفظ القرآن جيدا ، على يديه وعمره 12 سنة[1] .

كما تلقى على يديه مبادئ اللغة والضروري من علوم الدين من فقه وتوحيد[2] . تأثر الشيخ كثيرا بوالده ، وكان دائم الذكر والوصف له وقد كتب قصيدة عن والده يصف فيها مدى تعلقه به ويذكر فضله عليه كثيرا يقول فيها :

حياتكَ كلها كانت كفاحا مريراً قد جنيت بها النَّجاحـــا!
فكنت أباً مثاليـــاً حكيمـــاً به نلت السَّعـــادة والفلاحـــاَ !
وكنتَ أخاً كريمـــاً أريحيـــاً يبادلنـــي الفاكهـــةَ والمزاحـــاَ!
وكنت معلماً يقضـــا تقيـــاً يقلدني مـــن التقوى سلاحـــاَ!
يعلمنـــي المكارم والمعالـــي ويهدينـــي الفضيلـــة والصلاحا
حنانك كان في بؤسي عزاء ورأيك كـــان في ليلـــي صباحا!
فتحت بصيرتي وانزت نهجي فسرت الى الكمال خطى فساحاَ
ويوم فقدت أمي كنت أمي تواسينـــي وتنسينـــي الجراحـــاَ
فليس احق منك بصفو ودي ولا أولـــى احترامـــا وامتداحـــاَ
وأن قصرت في شكري وبري ففضلك يفحم اللســـن الفصاحاَ
سألت اللـــه أن تبقى وحسبي بقـــاؤك لـــي رجـــاء واقتراحـــاَ
ليحظى ناظري بسنـــا محيـــا مـــددت بـــه الى الجوزاء راحـــاَ[3]

وبعد ان أكمل تعليمه على يدي أبيه ، التحق بأقرب مكان علمي في المنطقة في تلك الفترة ، فكانت وجهته الأولى الزاوية العثمانية أين تلقى ها العلوم المختلفة ، فيها بدأ الشيخ رحلته مع العلوم العربية الاسلامية ، فأتقن علوم اللغة والآداب وأخد كما لابأس به من علوم الفقه من المذهب المالكي المذهب السائد في الجزائر والمغرب[4] .

1- محمد دراجي ، المرجع السابق ، ص14 .

2-المرجع نفسه ، ص15.

3- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ج1 ،ط2 ،منشورات الحبر ، الجزائر ، 2007 ،ص70.

4- محمد الدراجي ، المرجع السابق ، ص16 .

تخرج الشيخ من هذا الصرح مثل العديد من أبناء المنطقة الذين درسوا بها من أمثال : محمد خير الـــدين ، وأحمد بن عثمان السلطاني وغيرهم[1] .

كما التحق الشيخ سحنون بحلقات الشيخ محمد خير الدين عند عودته من تـــونس ،في حـــدود ســـنة 1928م وهو يحمل شهادة التطويع من جامع الزيتونة ، الذي بدأ بالتعليم في منطقة فرفار ويقول الشيخ خـــير الدين عنه : ان الشيخ أحمد سحنون الأديب والشاعر الفحل وقد كان والده – والد شيخ سحنون – تاليـــا لكتاب الله معروفا بالصلاح ملازما لحضور دروس في التفسير والفقه وهو على كبر سنه وبعد ســـكنه قلمـــا يتخلف عن حضور هذه الدروس .

فقه الشيخ خير الدين مجموعة من الطلبة الآخرين منهم صديقه فرحات بن الـــدراجي الـــذي أكمـــل دراسته بجامع الزيتونة ، والشيخ علي بن العرافي المغزي وغيرهم [2] .

لم يستطع الشيخ سحنون أن يواصل ويلتحق جامع الزيتونة أو الأزهر ، نظرا للتكاليف وحالته العائلية كباقي أصدقائه مثل فرحات بن الدراجي ، والطيب بوعبد الله . الا أن هذا لم يمنعه من كثرة المطالعة ، حـــتى نبغ في علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة فكون نفسه بنفسه وبرز بين أقرانه[3] .

وهكذا كان الطريق الذي اختصه لنفسه لتحصيل المزيد من العلم النافع والرقي الفكري والنبوغ الأدبي ، وقد أكرم الله تعالى عليه وحقق مراده فحصل من العلم وبلغ من النبوغ الادبي الكثير . وخير دليل على ذلك ، ما ذكره عن نفسه أنه التقى بالشيخ عبد الحميد ابن باديس مرة فسأله هذا الأخير : " ماذا طلعت من الكتب ؟ فراح الشيخ سحنون يسرد بقائمة حافلة بمختلف القصص والروايات . فقال : فنظر الي نظرة عاتبة وقال : هلا طالعت ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه ؟ هل طالعت ((الكامل)) للمبرد بشرح المرصفي ؟ واستمر يسرد قائمة من الكتب النافعة المكونة فكانت تلك الكلمات خير توجيه في هذا الباب" [4].

لما عاصر الشيخ العديد من رجال الاصلاح من منطقة الزيان تأثر بهم ، ومن بينهم الشيخ محمد خـــير الدين الذي كان أستاذه ، والشيخ الطيب العقبي ، والشيخ محمد الهادي السنوسي ، وأحمد بن العابـــد القعـــي وغيرهم.

---

[1]- صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر – تاريخها ونشاطها- ،دار البرق ، لبنان ، 2002 ، ص 407.

[2]- محمد خير الدين ، مذكرات الشيخ خير الدين ، ج1 ، دحلب ، الجزائر ،1985 . ص87 .

[3]- محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج2 ،دار هرمه ، الجزائر ،2000 ،ص 56.

[4]- محمد دراجي ، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر ، دار قرطبة ، لنشر والتوزيع ، ط1 ،الجزائر ،2013، ص 22 .

حيث شكلوا في مجموعتهم تيار إصلاحي وطني ، وقد أثر عليه صديقه الشيخ فرحات بن الدراجي بشكل كبير ما دفعه بالالتحاق بجمعية العلماء المسلمين ، والذي مهد له الطريق للوصول لها والتقائه بالشيخ عبد الحميد ابن باديس[1] .

– رحلاتـــــــه :

كان الشيخ أحمد سحنون كثير التنقل الى العاصمة لزيارة أخواله بين الحين والأخر ، كلما سنحت له الفرصة أو أحسن بالاشتياق إليهم ، وخلالها كثرت لقاءاته في العاصمة برفيقه فرحات بن الدراجي ، وبما أن الظروف في العاصمة مواتية أكثر مما يتيح له فيها مزيد من الشخصيات العلمية نصح ابن سحنون وكل الذين عرفوه هنالك بالانتقال اليها ، أخد الشيخ بالنصيحة واستقر بالعاصمة ، ولكن أستقر قبله العديد من شخصيات الاصلاح من منطقة الزيبان من أمثال الشاعر محمد العيد آل الخليفة سنة 1927م والشيخ الطيب العقبي الذي استقر بالعاصمة سنة 1929م .

وقد نزل الشيخ سحنون ب"سانت أوجين " (بولوغين حاليا)وانتقل من مترل الى آخر لصعوبة الكراء ، وفي سنة 1960م استقر بساحة الشهداء بين عامين 1960مو1961م ، بعد ما قصد مدينة سطيف مكث فيها عاما كاملا ، وبعدها رجع الى العاصمة واستقر في بن عكنون .

أدى الشيخ فريضة الحج ثلاث مرات واعتمر العديد من المرات وأخد فيها مرتين زوجته فاطمة الزهراء وابنته عائشة [2] .

–وفاتـــــه :

لقد تعرض الشيخ سحنون الى محاولة اغتيال وهو متوجه الى إمامة الناس في صلاة الفجر ، كـــادت أن تؤدي بحياته إلا أنـــه نجى منـــها ، بعدها التزم الشيخ بيته ، وجاور مسجده خصص وقته للعبادة والذكـــــر المطالعـــة .

ورغم تدهور حالته الصحية ظل صابرا محتسبا ، يرجى لقاء الله حتى فاضت روحه إلى بارئها[3] ، ففقدت الجزائر قامة من قاماتها ودعامة من دعائمها ، الذي كان يحمل هم بلاده فوق رأسه ، في نهار ميلاد خير البرية محمد (ص) ، وذلك ليلة الاثنين 08 ديسمبر 2003م الموافق ل14 شوال 1424هـــ[4].

1– محمد دراجي ، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر ،ص 22 .

2– ينظـــــر ، عبد القادر صيد ، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ،بسكرة ، الجزائر ،2013 ، ص 78 .

3 – محمد الدراجي ، المرجع السابق ، ص47 ،48 .

4–كمال بن عطاء الله ، جمعية علماء المسلمين الجزائريين ، مسيرة علم واصلاح ، دار علي بن زيد ، بسكرة الجزائر ، 2012 ، ص 72 .

وقد وري جثمانه بمقبرة (سيدي يحيا) بلدية موراد رايس – ظهيرة يوم الثلاثاء 09 ديســمبر 2003 بعد أداء صلاة الجنازة عليه في مسجد أسامة ابن زيد ، وهو المسجد الذي كان يؤمه المرحوم .

وكانت جنازته مشهودة إذ هبت الأمة ، فقد كانت الحشود كبيرة تقدر بالآلاف ، وأم صــلاة الجنــازة صديق الشيخ رحمه الله ، العلامة الشيخ محمد طاهر آيت علجت ، وخلال الجنازة ألقيت بعــض الكلمــات أشادت بالخصال الحميدة للفقيد ، والخسارة العظمى التي منا بها العمل الإسلامي المستنير من جراء فقدانــه ، كما أشاد له صديقه الأستاذ عبد الرحمن شيبان البعد الوطني في حياة الشيخ ومواقفه البطولية تشــهد للشــيخ المغفور له بالتفاني في خدمة أمته . كما حضر الجنازة عن الحكومة وزير الخارجية عبد العزيز بالخــادم وزيــر الشؤون الدينية السيد بوعبد الله غلام الله[1] .

آثـــــــــــــاره :

ترك الشيخ أحمد سحنون خلفه مجموعة من الآثار ، هي عبارة عن بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة أهمها :

–الدواوين : الديوان الأول 1977 وطبع سلسلة شعراء الجزائر التي تصدرها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ويضم حصاد السجون والقصائد التي نشرها غي البصائر في الجزء الأول ، أما حصاده الثاني فقد طبع ســنة 2007 من ديوانه الشعري فيظم تلك التي كتبها في الإقامة الجبرية والفترة التي تلتها[2] .

–كتاب دراسات وتوجيهات :وهو كتاب عبارة عن مقالات التي سبق نشرها بجريدة البصائر في سلســلتها الثانية ، وقدا كان الدكتور محمد الهادي الحسني قد أشرف في تصحيح هذا الكتاب[3] ، كمــا تــرك الشــيخ سحنون مجموعة من المخطوطات وهي : كتاب كنوزنا وهو حاليا تحت الطبع وهو عبارة عن قصص مختــارة من التاريخ الإسلامي وديوان تسأل أمل وديوان أطفال يحتوي على نحو خمسين قطعة[4] ، كما ترك كثيرا مــن القصائد الأخرى التي ضاعت وأخرى بقيت بحوزة ابنته عائشة .

كما يمتلك الشيخ سحنون مكتبة ثرية تعد ذخيرة من ذخائر العالم ، بدأ في إنشائها مند أمــد طويــل ، وكان المرحوم السيد عبد القادر ميمون صاحب مكتبة النهضة يخصص له نسخة من كال ما يصدر ، أو يصل الى الجزائر قبل أن يعرضه البائع ، وقد تركها الشيخ سحنون وقفاً في العاصمة [5]

1-. عبد القادر صيد ، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح ، ص 79

2- المرجع نفسه ، ص 87 .

3 – فوزي مصمودي ، تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة من 1900الى 1956م ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ، بسكرة ،الجزائر ،2006 ،ص213 .

4 – عبد القادر صيد ، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح ، ص88 .

5- محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، مرجع سابق ، ص58.

ثانيا: الشيخ أحمد سحنون ودوره الإصلاحي :

عند استقرار أحمد سحنون بالعاصمة سنة 1936 حيث كان لقاؤه الأول في هذه السنة بالشـــيخ عبـــد الحميد بن باديس إلى مطالعة أمهات الكتب العربية في الفقه والتاريخ واللاغة والسيرة فتعمقت أفكاره .

وانضمامه الى جمعية العلماء المسلمين وبدأ نشاطه الاصلاحي فيها حيث يقول في كتابه دراسات وتوجيهات " أن هذا الجهد المتواضع هو من أعمال جمعية العلماء ، ومن كفاحها ونمت خطواتها المباركة البركان وإشـــعال الثورة .

إن كل شيء كنا نعمله لهذا الشعب وكل ما نبذله ، إنما كان بوحي من روح هذه الجمعيـــة ، وتقـــف هذه الارض العربية المسلمة من وجود الاستعمار ومن سيطرة الأجنبي ومن عار الحكم بغير ما أنزل الله "[1] .

– دوره في المجال الديني :

بدأ الشيخ أحمد سحنون إصلاحه الديني بمسجد سانت أوجان بالعاصمة : فكان يقوم بإمامة النـــاس في الصلوات الخمس ويخطب فيهم في الجمعة ، ومارس فيه نشاطه الدعوي والإصلاحي به ، إذ نجـــده في كـــل رمضان ضمن الواعظين والمرشدين والمعتمدين لدى الجمعية رفقة مجموعة من رفاقه من أمثال الشـــيخ أحمـــد توفيق المدني ، حمزة بوكوشة بمقر مركز الجمعية بالعاصمة ، أما مركز سانت أوجين فالشيخ أحمـــد ســـحنون وعمر العرباوي وغيرهم [2] .

وارتبط وجود الشيخ أحمد سحنون بهذا المسجد مسجد الأمة ، الذي كان قلعة من قـــلاع الإصـــلاح منارة في الهداية والتنوير ، أما قصة بناء المسجد فقد فكر محمد الدراجي : بأن الشيخ أحمد سحنون ذكر لهم في محاضرة له أنه أثناء دعوته الى بيته انه من على مجموعة من الرجال يلعبون الدومينو بهذا الحي فلم يسلم عليهم ، فقال أحد هؤلاء الرجال معلقاً " داير روحو عالم وما لوحش السلام ، علاه ما ناش مسلمين كيفـــو " فقـــام الشيخ نحوهم واستسمحهم وقال بأنه لم يعرفهم بأنهم مسلمين وقال لهم ما دليل إسلامكم ؟ ها هم النصـــارى لهم كنسية يتعبدون فيها ، وهاهم اليهود لهم معابدهم ، وانتم أين مسجدكم الذي تعبدون فيه الله عز وجل ؟ فأثر كلام الشيخ في هؤلاء الرجال الذين شكلوا في فترة وجيزة نواة جمعية دينية التي ستتولى عملية بناء مسجد الأمة وكان الشيخ أحمد سحنون يقوم بجهود حثيثة لتجيش الأمة التسابق الزمني وتسارع الخطى ، حتى اكتمال بناء المسجد ، وكان مسجداً حراً يجهر فيه لكلمة الحق[3] .

1- أحمد سحنون ، دراسات وتوجيهات إسلامية ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ،ص9 .

2- عبد القادر صيد ، المرجع السابق ، ص 158.

3- محمد الدراجي ، المرجع السابق ، ص49 .

استغل الشيخ أحمد سحنون وظيفته في الوعظ والإرشاد لهداية الشباب ودعوتهم الى الدين الاســـلامي والدعوة الى الله ، إذ يقول : " إن الدعوة الى الله واجب كل مسلم بل هي الطابع الذي طبعت به هذه الأمة ، وما ميزها به عن غيرها من سائر أمم الأرض وجعله آية وقال أن العلماء أوفر حظا من هذا الواجب لأنهم ورثة الأنبياء "[1].

كما استغل الشيخ أحمد سحنون مختلف المناسبات الدينية لنشر الدعوة الى الله ومن هذه المناسبات شهر رمضان إذ يقول :" أن رمضان خير فرصة لفهم دينكم على حقيقته فأنتهز هذه الفرصة الثمينة وتســـابقوا الى خلقات الدروس في ليالي رمضان الزاهرة فجمعية العلماء قد جندت لهذا الميدان خير رجالها وزعتهم على القطر فاجعلوا من رمضان شفاء لنفوسهم ومطهرا لوحدتكم وتضامنكم وتجديداً لصلتكم بدينكم وعلماء دينكم والله يهديكم ويقويكم "[2] .

كما عالج الشيخ أحمد سحنون مجموعة من القضايا الإسلام كالجهل بالبداية ، إذ يقول بأن صادفني مـــن عجاب رأيت بعض الناس يحسبون أن الدين هو مجرد هذه الركعات ، التي يؤديهـــا بشـــعور وقلـــب غافـــل وحركات سريعة ما ، خاطفة كحركة الالة الدائرة ، هذا الضرب من الناس يرى أن المحافظة على الصلاة قـــد حافظ على الدين كله ولكن هذا الدين لن يدوم[3] .

– دوره في المجال التربوي :

لقد كان للشيخ أحمد سحنون في الاصلاح التربوي العديد من النشاطات ابرزها ، أنه قـــام بإنشـــاء مدرسة بولوغين [4] حاليا التي بدأت في الثلاثينات بمبادرة الشيخ .

تحت القيادة الرشيدة للشيخ الطيب العقبي والأستاذ أحمد توفيق المدني والأستاذ الأمين العمودي وثلاثة من سكان الحي فتم الاتفاق على إنشاء مسجد ومدرسة ، فشاركت الأمة والأغنياء والتجار الذين لم يبخلـــوا بأموالهم وجهودهم وتأديتهم ، وبرزت الفكرة الى ميدان الواقع[5] وقد شرع في تنفيد المشروع ســـنة 1947م فما دار العام الثاني حتى ظهر المسجد بمرافقيه ومأذنته وبجانبه المدرسة ثلاثة أقسام عصرية وإدارة .

دعا الى افتتاحها في يوم الأحد 2 يناير 1949م في حفل مشهود حضرة الداعية الكبير الشيخ الطيب

1- أحمد سحنون ، دراسات وتوجيهات إسلامية ، ص44 .

2- المرجع نفسه ، ص56 .

3- المرجع نفسه ،ص231 .

4- محمد الحسن الفضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ص56 .

5- محمـــــد الحسن الفضلاء ، المسيـــــرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الجزائري ، ط1 ،دار الأمة ، الجزائر ، 1999 ، ص81.

العقبي والأستاذ أحمد توفيق المدني ورجال التربية والتعليم من أساتذة مديرين والمعلمين ورجال المصلحين فكان يوماً مشهوداً في تاريخ الأمة الجزائرية[1] .

شرع المسجد والمدرسة يؤديان رسالتهما وأقبلت وفود المؤمنين والمصلين من كل حي من أحياء العاصمة تؤمم المسجد العظيم ولا سيما صلاة الجنازة وانطلقت المدرسة وهي منظمة لمدارس جمعية العلماء المســـلمين ، تستقبل البنين والبنات تحت إدارة الشيخ أحمد سحنون[2] .

كما كان للشيخ مجموعة من المواقف و لآراء من العلماء والمعلمين والتلاميذ : إذ يقول أن على العلمـــاء مسؤولية كبيرة أكبر من الحاكم ، فالحاكم يصلح الرعية والعالم يصلح الحاكم فالخير والشر يبدأ من العلماء فلا يجب على العالم أن يكون سبب بلاء أمته " .

أما بالنسبة للعلم فيقول الشيخ أحمد سحنون أن العلم عبارة عن وسيلة وليس غاية وهو تقوى الله .

كما أن التعليم في نظر الشيخ أحمد سحنون هو من يقوي كيان الأمة ويقيم أركانها ويرفع شأنها فهو يجـــب أن يكون أول الأعمال لأن لا حياة لأمة بلا تعليم بلا لغة ولا دين ولا تاريخ[3] .

وقد نظم الشيخ أحمد سحنون مجموعة من القصائد الموجهة لتلميذ وللمعلم يحثهم على العلم وقيمته فوجـــه قصيدة للمعلم يقول فيها :

هَات منْ نشئ الحمى خَيرَ عتادْ و اذّخرْهمْ لغدٍ جنْدَ جهـــادِ !
هَاتِ نشئاً صالحاً يبني العـــــلاَ ويفكُّ الضَاد من أَسْر الأَعاديَ
هاتـــــهِ نشئاً قويـــاً باســـــلاً إنْ دجا خَطبُ يكنْ أَوَّل فادِ !
حُطْهُ بالإسلاَمِ مـــنْ كـــلِ أذىً واحَمه بالخُلـــقِ منْ كلِ فسَادٍ !!
واَهْدِهِ بالعلـــمِ فالعلـــمُ سَنَـــى! وَمَـــنَ القـــُرآن زَوّدهُ بـــزادِ !
صغْـــهُ للإسّـــلاَمِ نبراسَ هُدَى وَمثـــالاً مـــنْ ذكاء واجتهادِ!
سِـــرْ بـــه في طـــرق مأمونـــةٍ إنّ في كفيـــك آمال البـــــلادِ
إنَّ فـــي كَفّيـــك بذراً فاسْقِـــهِ مِـــنْ ينابيع المعالي فهَـــو صـــادَ
إنَّ فـــي يمنـــَاك جيـــلاً فاهْـــده نهجـــهُ إنـــك للأجيالِ هـــادٍ[4] !

1- محمد الحسن الفضلاء ، أعلام الإصلاح في الجزائر ،المرجع السابق ، ص 56 .
2- محمـــــد الحسن الفضلاء ، المسيـــــرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الجزائري ، المرجع السابق ،ص 82 .
3- أحمد سحنون ، دراسات وتوجيهات إسلامية ، ص 159 ،166 .
4- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، المصدر السابق ، ص14 .

ثم للتلميذ يقول فيها :

لَكَ فِي كلِّ حشـــىَ نـــبعُ وادْ يَا رجَاءَ الضَّـــاد يَا ذُخْر البِلاَدِ
شعبكَ الموثـــــــقِ لم يـــبقَ لهُ منْ عتـــاَدٍ فلتكنْ خيرَ عتـــادِ
لَّج الاسْـــتعمارُ في طغيـــانـــهِ كلُّ يومٍ منهُ ألـــوانُ و اضطهَادْ
دينكَ الإسلاَم في أوطـــــانـــهِ نالهُ المكروهُ منْ أيدي الأعاَدِي
و طبـــاعُ الخير في النَّشءِ ذَوتْ فتولَّى خُلقَـــهُ كُـــلُّ فســـاَدِ !
وذوُو المَـــالِ لهـــمْ أفئدة أكباد مـــنْ جمودٍ صورتْ أوْ جمادِ !
ســـودُ مـــن الشـــح فمـــا ! لهُـــم في الخير منْ بيـــض أيَاد !
فـــمَتى تفـــدى بـــلاداً طَالمـــاَ سَاسهـــاَ أَعَداؤُهاَ فالحـــرُّ فادِ ؟
كـــنْ لهاَ في سلمـــهاَ رمزَ عـــلاَ كـــنْ لهاَ في حربها جُنـــد جهادِ
وامتثِـــلْ أَمـــرَ مربِّيكَ وكـــن ! قبساً مـــنْ روحـــهِ شهمَ الفُؤادِ[1]

ثالثا :الشيخ سحنون والثورة التحريرية:

أدرك الشيخ رحمه الله منذ اللحظة الأولى حقيقة المستعمر، فكان دائم التحذير من مكائده والتنبيـــه إلى أساليبه وساهم مع إخوانه العلماء في نشر الوعي الديني والوطني في أوساط الشعب وبعث الثقة في نفسه، ليرفع لواء الحرية والاستقلال ويطهر وطنه من رجس المستعمرين .وكان رحمه الله قد كون تنظيمـــا فـــدائيا ســـريا انطلاقا من مسجد الأمة عام1953، وبعد اندلاع الثورة لم يتردد في مساندتها ممـــا أدى إلى ســـجنه عـــام 1956 وحاول المستعمر استغلال مكانة الشيخ عند الشعب الجزائري وتأثيره فيه فطلب منه أن يحذر النـــاس من المجاهدين ويبعدهم عن احتضان الثورة ودعمها، فرد عليهم قائلا :"أنا الآن في حكم الميت، إذا نفذت مـــا طلبتم مني يقتلني إخواني وإذا لم أنفذ تقتلونني أنتم، وما دمت ميتا فليكن موتي على أيديكم أفضل" . فحكـــم عليه بالإعدام، ثم أطلق سراحه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحية، فقام المجاهدون بتهريبه إلى منطقـــة باتنـــة بالشرق الجزائري ثم إلى مدينة سطيف ليواصل عمله وجهاده بين أفراد شعبه. وخلال تواجده بالسجن كـــان مواظبا على متابعة ما يصدره الأستاذ سيد قطب رحمه الله من تفسيره في ظلال القرآن وكان يقـــول: "كـــان الظلال يخرج من السجن في مصر ويدخل السجن في الجزائر".

-الشيخ سحنون بعد الاستقلال :

بعد نيل الجزائر استقلالها، عين الشيخ أحمد سحنون إماما خطيبا بالجامع الكبير بالعاصـــمة وعضـــوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، فواصل عمله الدعوي التربوي بكل إخلاص واستقلالية، فكان أحرص ما يحـــرص

1- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، المصدر السابق ، ص16.

عليه حرية الكلمة وخاصة إذا كانت تخرج من المنبر، فلم يكن يهادن في دينه ولا يقبل المساومة في مبادئه مـــن غير جبن ولا تهور أو انفعال، شعاره في ذلك قول الباري عز وجل : ((**ادْعُ إِلَىٰ سَـــبِيلِ رَبِّـــكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَـــن سَـــبِيلِهِ ۖ وَهُـــوَ أَعْلَـــمُ بِالْمُهْتَدِينَ**))[1] حتى استطاع بمنهجه أن يصبح منبرا للتعقل والحكمة ومرجعا لوحدة الشعب الجزائري والتفافه حول ثوابته. وقد كان يقول رحمه الله:(فليست الدعوة إلى الله – إذن- كلاما مجردا عاديا، يستطيع أن يملأ به شدقيه كل من لا حظ له من دين أو خلق، ولا خلاق له من إيمان أو استقامة، إنما هي كفاح مرير ينبغي أن لا يخوض غماره إلا من تسلح له بسعة الصدر ولين القول واستقامة السيرة وبلاغة المنطق وقوة الحجة).وكتـــب ذات مرة مقالا بعنوان : **الدعوة إلى الله** ومما جاء فيه: وإذا كانت الكلمة اللينة والصدر الرحـــب مـــن خـــير أدوات الدعوات بحيث تجعل العدو صديقا كما تشير إليه الآية، فبعكس ذلك تكون الكلمة الجافيـــة والصـــدر الضيق من شر أسباب النفور بحيث يجعلان الصديق عدوا.

ليست الدعوة إلى الله -إذن- كلاما مجردا عاديا، يستطيع أن يملأ به شدقيه كل من لا حظ له من دين أو خلق، ولا خلاق له من إيمان أو استقامة، إنما هي كفاح مرير ينبغي أن لا يخوض غماره إلا من تسلح له بسعة الصدر ولين القول واستقامة السيرة وبلاغة المنطق وقوة الحجة" الإمام احمد سحنون رحمه الله هكذا إذن كان منهجه في الدعوة إلى الله كما كان منهج الأنبياء بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولكن إذا انتهكت حرمات الله أو حورب الله ورسوله وهدد الإسلام في عقر داره فإنه يرفع لواء التصدي والذود عـــن دين الله كما فعل رحمه الله لما حاولت شرذمة من النسوة بدافع من اللائكيين وبقايا أذناب المستعمر في الجزائر أن تستبدل قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية بآخر علماني لاديني، فخرج مع غيره من الـــدعاة في مسيرة حاشدة حضرها زهاء مليون امرأة مسلمة جزائرية أصيلة ليقول لا لمحاولات العبث بدين الأمة و ثوابتها. وكان قبل ذلك نصح وعمل على منع القيام بمسيرة خلال أحداث أكتوبر 1988 الدموية خشية الوقـــوع في فخ أعداء الصحوة الإسلامية والزج بشباب الدعوة في برك من الدماء. وفي سنة 1982 حـــرر إلى جانـــب صديق دربه الشيخ عبد اللطيف سلطاني والدكتور عباسي مدني بمناسبة التجمع الحاشد لأبناء الحركة الإسلامية بالجامعة المركزية "بيان النصيحة"، يدعو فيها الحكام إلى التزام منهج الله وقيادة الأمـــة بدينـــها وإعطائهـــا حقوقها، وكان أن سجن الكثير من الدعاة ووضع الشيخ تحت الإقامة الجبرية لكبر سنه. ومن الجهود المباركـــة التي قام بها الشيخ رحمه الله، محاولته تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية وهي إطار دعوي يجمع كافـــة أطيـــاف الحركة الإسلامية لتوجيه العمل الدعوي وتوجيه جهود العاملين بعد توحيدها وتنسيقها لاجتناب التنـــاحر و الشقاقات داخل صفوف الحركة الإسلامية، كان ذلك سنة 1989م، وقد كانت محاولة رائدة لو كتب لهـــا

1- سورة النحل ، الآية 125 .

الله النجاح و الاستمرار. ولما دخلت الجزائر في محنتها وسالت دماء أبنائها حاول مخلصـــا جاهـــدا أن يجنـــب الشعب ويلات تلك المحنة وآلامها، فكان جزاؤه محاولة اغتياله وهو في ساحة المسجد متوجها للصلاة مما تـــرك في نفسه الأثر العميق لما وصلت إليه الجزائر، فعكف في بيته يدعو الله ويعبده ويطالع الكتب ويـــدرس إلى أن لقي الله و لم يبدل تبديلا. في سنة 1982 حرر الشيخ سحنون إلى جانب صديق دربه الشيخ عبـــد اللطيـــف سلطاني والدكتور عباسي مدني "بيان النصيحة" بمناسبة التجمع الحاشد لأبناء الحركة الإســـلامية بالجامعـــة المركزية، يدعو فيه الحكام إلى التزام منهج الله وقيادة الأمة بدينها وإعطائها حقوقها، وكان أن سجن الكـــثير من الدعاة ووضع الشيخ تحت الإقامة الجبرية لكبر سنه وقد روى أحد الإخوة ممن زاره في الأسبوع الأخير من رمضان وهو على فراش المرض أنه كان يدخل في غيبوبة لبعض الوقت ولما يستفيق يردد قوله تعـــالى: {فأمـــا الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}. قال ولما عزمنا على الخروج من عنده طلبنا منـــه أن ينصحنا فقال رحمه الله: عليكم بالتوحيد والوحد. لقد مات الشيخ سحنون وهو يتألم مما وصل إليه حـــال الجزائر من انهيار وتفكك وفرقة، مات وفي قلبه أمل أن يرى الدعاة إلى الله على قلب رجل واحد[1].

-الشيخ أحمد سحنون و السجون :

سجن الشيخ أثناء الثورة الجزائرية ثلاث سنوات من 24 ماي 1956مـــ إلى 1959مـــ و لم ينشغل عن نشاطه في المعتقل فجزء هام من ديوانه وضع تحت حصاد السجون[2] .

ألقي القبض عليه بعدما عرفت السلطات الاستعمارية بحقيقته ونشاطه السري الثوري دون تخليـــه عـــن وظيفته الحقيقية في الإمامة والتعليم والتحرير الصحفي ، وعند إيداعه السجن تعرض فيه الشيخ إلى أشد أنواع التعذيب ولكنه رفض من المستعمر بتوجيه نداء إلى المجاهدين بوضع السلاح نظراً لمكانة الشـــيخ الشـــعبية في وسط العامين[3].

ومع كل هذا العذب ، لم يستطع المستعمر أن يصل الى شيء ، وهذا ذلالة على صبر وقوة وعزيمة الشيخ أحمد سحنون .

1- أعلام, الجزائر, العلامة أحمد سحنون, العلماء, ترجمة, سيرة حياة, عمار رقبة شرفي, موقع الشاملة ، الأربعاء 24 ذو القعدة 1438هـ ،20:41، http://www.oulamadz.org/ .

2- الطاهر آيت علجت ، في ذكرى وفاة العلامة الشيخ أحمد سحنون لا يعرف أقدار الرجال إلا الرجال ، 15 مارس 2015، www.chihab.net .

3- محمـــــد الحسن الفضلاء ، المسيـــــرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الجزائري ، ط1 ،دار الأمة ، الجزائر ، 1999 ،ص81 .

حول الشيخ أحمد سحنون الى المعتقل "بوسري" الذي قضى فيه باقي الفترة في المعتقل ثم أفرج عليه ســـنة 1959مـــ [1]، اخبرني السيد رجاء سحنون : أن السلطات الفرنسية حاولت اغتياله عدة مرات إلا أن جبهة التحرير الوطني قامت بتهريبه إلى سطيف هو وكل عائلة ومنها إلى المنطقة بضواحي أريس وكان في اســـتقباله القائد محمد يحاوي سنة 1960مـــ الذي بحوالي 50 جندي[2] .

1- بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر من 1830مـــ الى 1989 مـــ ، ج2 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006 ، ص 432-433 .

2- محمد حسن فضلاء ، المرجع السابق ، ص58.

المبحث الثاني : موضوعات شعر السجون عند أحمد سحنون

إن مواضيع شعر السجون تحوم من حيث موضوعاتها حول قضايا وطنية هامة ، من شأنها أنها تهز كيان المستعمر هزاً ، فأحداث الإعدام ، والاعتقالات ،والتعذيب ، وأخبار المعارك ، هي صلب النتاج الأدبي في السجون، بالإضافة إلى مواضيع أخرى ، والتي تمس الجانب الشخصي للشاعر ، والشاعر أحمد سحنون كغيره من الشعراء العرب والجزائريين بخاصة الذين أبدعت قرائحهم في مثل هذه الموضوعات داخل السجن وبيان ذلك كالآتي :

– الحنين إلى الأهل و الأحبة :

فهذا أحمد سحنون يحن في سجيناته إلى أبنائه ، إذ أفقده السجن قوة نفسه فلم تعد تطق صبراً على فراق فلذات كبده ، فتبدو عاطفته قوية ويزداد شعوره تدفقا على صغاره الذين لم ينالوا بحظ وافر من عاطفته الأبوية . وتعتبر هذه العاطفة من أصدق العواطف التي أراد الشاعر ان يجسدها في شعره للتعبير عن ما يشعر به من ألم ومعاناة وقهر ، وبالنظر الى العلاقة الجيدة والوطيدة التي كانت تربطه بأبنائه ، فهو الأب والأم والصديق وكل شيء بالنسبة لهم .فهذا التعلق بأبنائه جعلهم يتعلقون في ذاكرته ، فأصبح يراهم في كل شيء .

فنجد أن الشاعر أحمد سحنون نظم قصيدة : عصفورة عندما تذكر عصفورته التي بقيت في البيت فرأى ابنته في صورة العصفورة التي حطت بالقرب من زنزانته يقول فيها :

عصفورةُ مرت على غرفـــــــتي تشـــدوا بلحن ساحر النبـــــرةِ
والنـــاسُ صرعى النومِ لم يفطـــنوا كأنّهـــم ـــ بالنوم ـــ في ســكرةِ
مرّت تغنّى فاستثارت جـــــــوى قلبي وأشواقي لعصفورتـــــــــيِ
عصفورة تشبههـــا روعـــــــــة في الوثـــب والتغريـــد والصّـــورةِ
عصفورتي إن جئت أرض الحـــــمى وشمت بيتا قد حوا صبيـــــــتيِ !
كوني رســولاً صادقاً للتـــــــي تحيـــة الطل إلى الزّهـــــــرةِ !
قولي لهـــــا لا تهلكي بالأســـــى ولا يذب قلبك بالحســـــــــرةِ !
وابتسمي –كالزّهر– لا تعبســـــي واحتفلي بالعيد في غبطـــــــــةِ
أبوك مازال حليف الوفـــــــــاء حاشـــاه أن ينساك في الغربـــــــةِ
بوجهـــك السّبـــاح في طهـــره ! يحلـــــم في النُّـــوم وفي اليقظـــــة !
وسوف تأتي ساعـــة الملتـــــقى لابـــدّ للغائـــب مـــن أوبـــــــةِ ![1]

[1]– أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، المصدر السابق ، ص64.

فالقارئ لهذه الأبيات يلاحظ مدى تعلق الشاعر ببنته الصغيرة التي لازالت تحتاج الى حنان ابيها ونصائحه ، ومدى اشتياقه لها، فالشاعر يعيش ألمين مضاعفين ألم فراقه لابنته وألم فراق ابنته له .

لقد عاش الشاعر تجارب عديدة ومواقف كثيرة وحالات متنوعة في غربته النفسية والجسدية ، وقد استطاع أن ينقل ألينا شعوره بصدق وعفوية دون غوص منه في النوازع النفسية أو تعميق للأفكار ، ولذلك وجدنا هذه الأبيات " لا تعدو أن تكون مجرد رسالة عادية من أب غريب عن ابنته ، رغم ما في الموضوع من جلال ، فالتقرير والمباشرة قد أفسدا التجربة ، فبدت سطحية هزلية ، وتلك سمة هؤلاء الغرباء"[1] .

ذلك أن حنينهم يأتي في معظم الأحيان بوحاً ساذجاً وعفوياً ، ومع ذلك فإنه ينبع من الأعماق ويغلب على النفس في جيشانها العاطفي سذاجتها وعفويتها ، فليس في وسعها تعميق الأفكار أو الغوص وراء تأملات النفس البعيدة[2] .

ويقول أيضا في قصيدة : **إلى أولادي** التي تعبر كذلك عن مدى اشتياقه وحنانه لهم .

مَا ينَ أَولادي يُقيـــمُ فؤادي! لاَ خيرَ في عيشٍ بلا أولادِ!
أبني مَا ذُكـــــرَ يمرُ بخاطري! لِسواكمْ في يَقظتي و رقادي
قَدْ عِشت ذِكركمْ نجى مَشَاعري وَغِذاؤهَا في غُربَتي وبِعَادي
فَارقتكـــــم فإذَا الحياةُ جَمِيْعُهَا! في نَاظري قَدْ جَللت بِسَوادِ
لَكِـــنّ فَرقَتُكُـــم يَهُونُ وَقْعُهَا! إنني أُفارقكـــمْ لأجلِ بِلادي
الله يرعاكـــمْ إلى أنْ نَلتقـــي! ونَنَال بالتحريـــرِ كُلْ مرادِ[3]

ومن هذه الأبيات نرى أن الشاعر قد أسره الاشتياق ، وزاد كربته في السجن ، يحن إلى أولاده في منامه وفي يقظته تمر عليه تلك الأطياف تذكره بأهله ، وهو في زنزانة مظلمة ، لا يجد ما يستأنس به غير الشعر .

وفي قصيدة أخرى يخاطب فيها ابنه رجاء يقول فيها :

"يا رجاء "النَّفس يا أقصا مناهاَ يا حبيب الرُّوح يا كل هواهـــاَ!
يا نشيـــدَ القلـــب في أفراحـــهِ يا حياة الحبِّ يا طيب جناهـــاَ!
يا عَزائي في شَقَائـــي يَا هـــدى مُهجتي إن أظلم الخطب دجاهَـــاَ
يا رفيفَ الروضِ يا همس الـــرُّبَا! يا دنى الأَحـــلامِ يا سحر رؤَاهـــاَ
يا جمال الزَهرِ في رأد الضحـــى يا ندى الأسحـــار يا عطر شذاهاَ

1- عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، منشورات اتحاد كتاب الجزائريين ، الجزائر ،دط ،2004 ،ص64 .
2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
3 - أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص69 .

لا تـــدع حزنك يرديك فكـــم! قرب الحزن نفوساً مـــن رداهـــاَ
وتجلـــد فأمانينا علـــى وشـــك أن يسطـــع في الأفـــق سناهـــاَ
وستلقاني فتنسى كلَّ مـــا! ذقت من حرب الليالي وأذاهـــاَ
في بلادٍ سوف تغدو جنَّـــة تجـــد الأنفس فيهـــا مشتهاهـــاَ
فترقـــب فجر يوم مشـــرقٍ ينجلي فيه عـــن النَّفس أساهـــاَ[1]

وتستأثر عاطفة الأبوة لدى الشاعر وتزداد تأججا عندما ، يتراءى له طيف أبنائه الذين ينتظرون عودته ، وعند مغيب كل شمس يخيب أملهم وتنطوي أحلامهم فتكوى أفئدتهم .

-الحنين الى الوطن :

لم تكن آلام السجين نتيجة لفراق الأهل والأحبة فقط بل إن الوطن وفراقه كان أشد وطأة على شاعرية ونفسية الشاعر الذي أصبح يحس بمهجة الفراق .

إن الحنين إلى الوطن والتألم لفراقه هي ظاهرة عامة ظهرت عند أغلب شعراء السجون فكان حنينـــهم قوياً بالرغم من أنهم كانوا يعيشون داخله ، فمثلا أحمد سحنون وبالرغم من معاناته من وطأة السجن إلا أنـــه استسلم لأحاسيسه التي قادته إلى حنينه الجياش إلى الوطن الذي هو أنبل العواطف وأشدها ، فلقد هام الشاعر في ذكريات وطنه من نسيم عليل ونقي وبلابل شادية ، ونجوم نيرة فأنشد قصيدة عنونها **يا بلادي** يقول فيها:

كـــل شيء نسيتـــه يا بلادي وتلاشـــتْ أطيافه مـــن فؤادي
غير ذكراك فهي تكمن في قلبي كمـــون اللظى بقلب الرَّمـــادِ!
و الَّشذا في الزُّهورِ والحـــبَّ في الأحشـــاء والكبرياء في الأطوادِ
فإذا ما بـــدا الصّبـــاح تجلـــت أغنيـــات سحرّيـــة الإنشـــاد!
وإذا مـــا دجـــا الظـــلام تراءت في طيوف تحوم حول وســـاديِ
وإذا مـــا بلابل الـــدوح غنـــت قلت :صوت الحمى إلى المجد حادِ
وإذا مـــا الرياض أبـــدت حلاها قلـــت حسن مـــن" الجزائر "باد!
وإذا مـــا النّجـــوم أبدت سناهـــا خلتـــه سحـــر نـــورك الوقـــادِ!
وإذا صـــافـــح النسيـــم جبيـــني خلتـــه هبَّ مـــن رياض بـــلاديِ
يا بلادي يا أرض أهلي وأحـــبابي ومـــأوى الأســـود مـــن أجداديِ
وحمـــى مولـــودي ونشأتي الأولى ومثـــوى آبـــائـــي الأمجـــــاد!
والتراب الـــذي مشى" ابن نصير" فـــوقـــه واحتمى بـــه" ابن زياد"

1- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص67 .

لك حبّي علـــى المـــدى وولائي لك سعيـــي وخدمتي وجهـــاديِ[1]

وقال أيضا في قصيدة أخرى عنونها بـــ " **وطني** " يقول فيها :

شد ما ألقاه من طول أسايا كل يوم حرّه يصلى حشايَا!
إنّ ما ألقاه من شـــوق إلى وطني قد كاد يذروه شظايا!
أنا لا أرضـــى حياتي مبعداً عن بلادي أنا لا أسلو حمايا!
فـــإذا لم ألق الرجعـــى و لم تـــره عيني فيا طـــول أسايا!
وإذا لـــم ألـــق أحبّابي به! عاجلا لا بـــدّ أن ألقى المنايَا
وطنـــي يا مهبط الوحي ويا فلك الحسن و يا مهد صبـــايَا
يا نشيـــد المجـــد يا أغنيـــة من أغاني الحبّ يا نجوى هوايَا
يا سمـــاء للعـــلا يا ملتقـــى إخوتي الصّيـــد شبابا وصبـــايَا
عـــش عزيـــزا سيّـــدا محترما موضع الإكبار مـــن كل البرايَا
إن في أرضـــك آســـاد وغى لا يبالـــون بألـــوان الـــرزايا
إنّ فيـــهـــا فتيـــة لا تنثـــني عن مراميها ولو راحت ضحايا
وضحـــايا قدّمـــت أرواحها لك قـــربانا عزيـــزا وهـــدايا
إنّ فيهـــا أمّـــة مـــاجـــدة! لم تـــدع للنّاس من مجـــد بقايَا
أنا مـــن أنجبتـــه كـــي يفتدي كل جزء منك مـــن كل البلايا
أنا مـــن ألهمتـــه الشعـــر الذي صاغـــه فيـــك ثنـــاء وتحايا!
أنا إن أحيـــا فكـــي أحظى بما فيك من حسن ومن غر سجايا
وإذا مـــتّ شهيـــدا بالـــذي لك في قلبي فقـــد نلـــت منايَا[2]

فمن خلال ابيات هذه القصيدة يتضح لنا جلياً مدى تعلق الشاعر بوطنه وذلك في قوله أنه لا يرضى أن يبعد عن وطنه وربط حياته به ، أما أن يعيش فيه حرا طليقا ، أو أن يموت شهيداً .

ومن هنا نرى أن الشاعر أحمد سحنون في مناجاته للوطن ، يقدم سلسلة من التصورات الشعرية ترفع مقامه ، و تصوره في أحسن صورة ومما لاشك فيه أن عاطفته كانت تلح عليه في تقديم هذه الصور دون غيرها ، وكانت له رغبة في إظهار ذلك للمتلقي .

1 - أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، 92 .
2- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص117 .

جـ : وصف جرائم المستعمر :

لقد سخر أدباء وشعراء هذا الوطن أقلامهم ، من أجل أن يفضحوا جرائم المستعمر الغاشم الذي تخطت كل الحدود الإنسانية ، من قتل الأطفال والأمهات والشيوخ وهتك أعراضهم وسلخ جلودهم وتعذيب المعتقلين والسجناء أشد العذاب .

وهو ما أراد شاعرنا الشيخ أحمد سحنون أن يصفه لنا من خلال قصيدته ، يريد أن يبين مدى بشاعة المستعمر وظلمه ، ومدى تعطشه لدماء الجزائريين . فأراد الشاعر وبقية الشعراء أن يفضحوا جرائمه ، لدعم الثورة أمام الرأي العام ، يقول الشاعر في قصيدته " **عام جديد** " :

شعب" الجزائر" في السُّجـــون وفي الحـــــديد مكبـــــلُ،
شعب "الجزائر "كالقطيــع مشـــــــرّد ومقتَـــــلُ!
شعب يذوب شبابــه بيــد الخطــوبِ ويـــــذبــلُ؟
شعـــب صبايـــاه بنيـــــران الرّصـــاص تجنـــــــدلُ!
فعلت به الأحداث والأزمات مـــــا لا يفعـــــــــلُ!
وتـــراه كـــالليث الهصـــور بخطبـــــه لا يحفـــــــلُ!
وتـــراه كالطـــود الأشـــــم عـــــدّت عليـــــه شمألُ!
ربّـــاه طـــال بلاؤنـــــــا! فإلـــى مـــتى نتحمـــــلُ؟
ربّـــــاه مـــــا لكروبنـــــا إلا عليـــــك معـــــولُ!
اجعـــل لنـــا العـــام الجديـــد بكـــلِّ خيـــــر يقبـــلُ[1]!

ولقد خصص هذه الأبيات يصف فيها حالة الشعب الجزائري ، الذي قال عنه بأنه مكبل بالحديد يعاني من بطش المستعمر الذي قام بكل أنواع العذاب التي تعدت حدود الإنسانية ، مستعملاً ألفاظ تدل على ذلك ، منها (مكبل ، مشرد ، تجنذل ، مقتل ، يذوب ،يذبل) .

وفي الأخير يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يفرج على الشعب الجزائري ، ويتحرر من المستعمر الذي طال بقائه في أرض الوطن .

د- التوق الى الحرية والاستقلال :

لقد كان إيمان شعراء الجزائر قوياً ، وكانوا يعلمون أن موعد النصر والحرية قريب ، وسيتحقق يوما ما ، بفضل بسالة أبنائها وتضحياتهم ، ولا مجال للشك في ذلك ، فقد كان الشعراء ينتظرون ذلك اليوم ويصورونه

1- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص117 .

في مخيلتهم ويعبرون عنه في أشعارهم ، فشاعرنا أحمد سحنون كان متشوقاً الى ذلك اليوم المشهود المنتظر الذي يأخذ فيه الشعب الجزائري حريته التي أخذت منه بجهاده وبسالته وتضحياته بالنفس والنفيس .

فقال في قصيدته **بشرى الجزائر** :

بشرى" الجزائر "بانتصار حالهَا ... في كلِّ معركة وكلَّ مجـــالِ
صهرتهم الأحداث حتى أصبحوا ... ولهم لغايتهم مضاء نصـــالِ
كانوا أسودا في لقـــاء عدوّهم ... في فيج غابات وشمّ جبـــالِ
شنُّوا على الطغيان أعظـــم ثورة ... لـــم يأت تاريخ لها بمثـــالِ!
الرُّعب كان سلاحهم في حربهم ... يفـــنى عدوّهـــم بغيـــر قتالِ
ريعت نفـــوس الظّالمـــين لحادث ... لـــم يجـــر يوما للعـــدوّ ببالِ
حملت به "الرشاش" ظبيات الحمى ... وأذقن أهل البغي كـــل نكالِ
لم يلقـــنا أعداؤنـــا إلا انثنـــــوا ... كقطيـــع شـــاء فرّ من رئبالِ
غـــرَّ العـــدوّ سلاحـــه وجيوشه ... فأطال حـــربا لم تعـــد بنوالِ[1]

وهنا الشاعر يبشر الشعب الجزائري بنصر سوف يجلي كل الظلمات ويشرق شمس الحرية والاستقلال ، ويشيد في هذه الأبيات ببطولات أبناء الجزائر وقوتهم وتمسكهم بوطنهم فشبههم بالأسود الذين أرعبوا المستعمر ، حتى أصبح يخشاهم بمجرد سماع صوتهم .

وقال أيضا :

عـــــامٌ جديـــد يقبـــل ... هل فيـــه خير يؤمَّلُ؟
هل فيـــه من فرح يتاح ... ومـــن هنَـــاء يشملُ؟
هل فيـــه للكرب المنيخ ... علـــى البَلاد تحـــولُ؟
هل فيـــه من ذل القيود ... تحـــرّر وتحـــــــللُ؟
هل فيـــه يرجع مبعـــد ... هل فيه يسكت معولُ؟
هـــل فيـــه ينصر طالب ... حقـــا ويخذل مبطـــلُ؟
هـــل للـــذي عاش في ... ضنّـــك حياة أفضـــل؟
هل للمكافح في "الجزائر" ... مـــن ثـــواب يجـــزلُ؟[2]

1 – أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص 115 .
2 – المصدر نفسه ، ص 114 .

وهنا الشاعر يأمل بمجيئ يوم جديد يفرح فيه لشعب الجزائري ويخرج من ظلمات القهر والعذاب التي يعيشها تحت وطأة المستعمر الغاشم ، ينتظر من الله نصراً عزيزاً ثواباً لصبر الشعب الجزائري على رفع كلمة الله ورفض اغتصاب أرضه .

وقد تحدث الشاعر في قصيدته " **خواطر في العيد** " التي كتبها داخل سجون المستعمر ، وهو يتوق الى الحرية والعيد مع الأحباب والأهل والخلان والأصحاب فيقول :

عيدُ" الجزائر "هل أراك قريبا فأذوق فيك من السّرور نصيبَا؟
قد طال من زمن إليك تشوقي وسئمت حزنا في الضلوع مذيبَا!
هل تجتلي عيني سناك فيشتفى قلب يشبّ بـــــه الغرام لهيبا؟
هل يشتفى البلد الحبيب فطالما ذاق البلاء وكابد التعذيبـــــاَ!
هل ينجلي ليل الخطوب بأفقه فكفاه أن يقضي الحياة حربيـــّا!
هـــل يستعيـــد هناءه وصفاءه ويرى زمانا كالرّبيع خصيبـــاَ!
ويعـــود كـــل مهاجـــر لبلاده ويـــرى حبيب في ثراه حبيـــباَ[1]!

وقال في نفس القصيدة متسائلا :

شعبُ" الجزائر "هل أرى لك دولة قد ألبست ثوب الفخار قشيبا؟
أأرى" الجزائر "روضـــة فينانـــــة ورأى بها غصن الحياة رطيـــباَ؟
والزَّهـــر في أدواحهـــا متبسمـــــا والطيـــر في أفنانهـــن خطيبا[2]!؟

وهنا الشاعر يتوق الى يوم يرى فيها الجزائر دولة قوية تنعم بالحرية ، مشبهها بالروضة التي بها العصافير تغرد بفرحة ، نظرا لشعورها بالأمان والراحة في موطنها .

هـــ: التغني بالثورة :

لقد كان لشعراء الجزائر دوراً بارزاً في بعث الثورة واظهارها للعالم ، من خلال أشعارهم التي بدت تشيد وتفتخر وتتغنى بها ، فكانوا يصفون بطولات المجاهدين ، ويفتخرون ببطولاتهم .

وقد كان أحمد سحنون أحد هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بالثورة وأيدوها واحتضنوها ، حيث عبر عن ذلك في الكثير من قصائده ، منها هذه الأبيات من قصيدة **تحية لجيش التحرير 1961مـــ** يقول فيها :

نضَّر الله هذه الأوجه الغـــــرّ وجـــوه كتائـــب التّحريرْ!
وحَباهَـــا ما يستحقُ أولـــــوا الفَضل مِنْ الاعتبارِ والتّقديرْ

1 - أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص113 .
2- المصدر نفسه ، 113.

وجزاهَا على الجِهادِ الذي أَحيا صَرِيعَ الكرى ومَيتُ الفتـــورْ
إنّ منْ ها هنا سَيَنشقّ فَجْـــــرُ يَمْحِي مَنْ سَنَاهُ ليلُ الشّـــرُورْ!
إنّ مـــنْ هَا هنا سَيَنْدَكُ صَرْحُ قَدْ تعالى منْ بَاطلٍ وغـــــرورْ
إنّ مِـــنْ هَـــا هُنَـــا سَيَبعَـــثُ شَعْبُ عَربيّ اللّسانِ وَالتّفكيـــرْ!
إنّ منْ هَا هُنَا سَيُنْشَرُ عَهْـــــدُ أَبَدي السّنا عَمِيـــم النّـــــورْ!
وسَتهتـــزُ بالحياةِ وبالخصبِ بِلادَ " الشّمَـــال "بَعْـــد دثـــورْ[1]!

ومن خلال هذه الابيات يتضح مدى تعلق الشاعر بالثورة ومدحه وتغنيه بها ، وتقديره لها ، فالصمود الشهداء وصبرهم وكفاحهم ، مكن البواسل من المستعمر الذي يفوقهم عدة وعتاد ، فالشاعر يـــتغنى بتلـــك التضحيات التي قدمت من أجل الوطن ، وفي هذه الابيات يوضح ويحث الشعب عن التضحية فيقول :

وضَحايَا قَدْمت أرواحَهَا لك قرباناً عزيزاً وهدايا[2]

ومن هنا نرى بأن الشاعر الشيخ أحمد سحنون تغنى ببطولات الشهداء والثورة التحريرية الكبرى وساندها وهو في السجن يعاني القهر والتعذيب ، ولكن أمله كان كبيرا في بزوغ فجر جديد .

و: الحنين الى العروبة :

لقد تطرق الشيخ أحمد سخنون في شعره الذي كتبه داخل سجون المستعمر ، الى قضية الوحدة العربية التي كان يرى فيها الأمل الوحيد في مواجهة العالم الغربي ، فتطرق لهذا الموضوع في قصيدة ميلاد وميلاد يقول فيها :

واليـــوم تولـــد للجزائـــر دولـــــة عربيّـــة من أهلها الأقحاحِ
وغـــدا ستشمـــل وحـــدة وطنيّـــة أبناء أرض إفريقيا بجنـــاحِ!
يرقى بها شعب"الشَّمال"ذرى السهى وتذود عنه فضول وقـــاحِ!
"المغرب الأقصى "دعامـــة ركنهـــا ولها بنو الخضرا أداة نجـــاح![3]

ومن القضايا العربية التي تناولها الشاعر هي **القضية الفلسطينية** فالشاعر يتفاعل مع قضية فلسطين بأحاسيسه ووجدانه وبفكره وآراءه معاً. يبدأ القصيدة بداية شاعرية يتغنى فيها بموطن الوحي ومهد النبيّين ثمّ يدلي برأيه وموقفه من أحداث القضية ومستجداتها فهو لا يرضى بالتقسيم الدولي لفلسطين ويطالب أبناء فلسطين برفضه وردّه وأنّ الموت أهون وأحبّ من الرضا بقسمة الذلّ ، وقد مضى الشاعر على هذا النحو في

1- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص 83 .
2 - المصدر نفسه ، الصفحة 117 .
3- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

قصائده التي خصّ بها فلسطين يسلي أهلها حينا ويشحذ هممهم حينا آخر يحثُّ العرب على نصرتهم على القتال على العودة إلى دينهم سبيلِ النصر وسببِه.

ففي قصيدة **نحن نسل الهدى** والتي خصّها للقضية الفلسطينية يقول: فيها :

نحمد الله نحـــن أزكى وأحمـــد نحن أغلى الورى تراثا وأخلدْ
نحن نسل الهدى ونشء المعالي نحـــن جند الإله جند محمـــدْ
نحن أحفاد" خالـــد "و"المثنى " من له مثل ما لنا من سؤددْ؟
سوف نقضي على اليهود أشياع اليهـــود ومـــن أعـــان وأيدْ
ونـــردَّ العـــدوان عن كلِّ أرض لا نقرّ العـــدوان أيّان يـــوجدْ
لا نبالي الأعـــداء مهمـــا يكونوا قـــوّة، لا نخـــاف لا نتـــردّدْ[1]!

ومن هذه الابيات نلاحظ مدى تعلق الشاعر بالوحدة القومية والعربية وتأثره بما فعل المحتل الذي أرد ان يشتت وحدة الأمة ، ورغم البلاء الذي ابتلي به الشعب الجزائري ، ولكن لم ينسيه القضية الفلسطينية التي باتت تمثل جزء لا يتجزأ من وطنه .

1- أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ص 127 .

الخاتمـــــــــــة :

ولا يسعني في ختام هذه الدراسة إلا تلخيص أهم ما انتهيت إليه في جملة من الملاحظات والنتائج أهمهـــــا :

– إن شعر السجون شعر صادق نبع من قلوب صادقة رافضة للاستعمار و للظلم والقهر والمعاناة ، عبر فيه الشعراء بكل صدق عن أحاسيسهم عن حنينهم الى أهلم أو أوطانهم من داخل السجون بكل عفوية .

– تميز شعر السجون بالنظرة التفاؤلية للشعراء ويتضح ذلك من خلال اشعارهم ، التي كانت تدعوا الى الصبر و الأيمان القوي بالنصر .

– تأثر الشعراء بالموروث الشعري القديم ويتضح ذلك في مجمل القصائد الشعرية التي حافظت على بناء القصيدة العربية القديمة .

– تبين لنا من خلال هذه الدراسة ، إن شعر السجون كان إحدى أدوات المقاومة في سبيل الانعتاق من قيود الظلم ، نحو الحرية .

– ان شعراء السجون يعتبرون مجاهدين مثلهم مثل الذين حملوا السلاح يستحقون كل التقدير و الاحترام ، وذلك من خلال مساندتهم للحركات التحررية ، وتوعية الشعب ودعوته الى الجهاد والدفاع عن الوطن لتحقيق النصر .

– يمثل شعر السجون مرحلة الصحوة ووعي الشعوب ، ودحض فكرة الخوف من المستعمر ، وحمل السلاح والقلم من أجل الحرية .

– ينقل لنا شعر السجون صورة واضحة لما يعانيه الشعوب ، من ظلم وقهر داخل سجون المستعمر مع استعمال كل أنواع التعذيب للعدول عن قضيتهم الوطنية .

– طغى على شعر السجون الطابع الوجداني ، وذلك لحنيين الشاعر الى أهله ووطنه .

– يعتبر شعر السجون في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة ، عبارة عن مدونة تاريخية تحكي لنا قصة شعب قهر الاستعمار وحارب من أجل حريته وكرامته .

– طغى على الشاعر أحمد سحنون الالتزام الواضح المرتبط بالإسلام ، والالتزام بقضايا الوطن والعروبة، مما زاد من قيمة شعره تفاعله مع محنة بلاده، واستجابته لنداء الوطن، ودعوته الدائمة لتحرير أمته العربية الإسلامية.

– تميز الشيخ أحمد سحنون بحسن اختيار الألفاظ ، وتوظيف المفردات المتصلة بالدعاء والرجاء والترحم، والأمر والنهي.

.– امتاز إنتاج "أحمد سحنون" في بعضه بالإطالة ، ومرجع ذلك تناوله لأغراض متعددة في القصيدة الواحدة

– كان شعره ثوريا حماسيا مؤججاً للمشاعر والأحاسيس، حيث جمع بين الصدق الفني والشعوري.

قائمة المصادر والمراجع :

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1- ابي فراس الحمداني ، ديوان ابي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ،1994 مـــ .

2 – أحمد سحنون ، ديوان الشيخ أحمد سحنون ، ج1 ،ط2 ،منشورات الحبر ، الجزائر ، 2007 .

3- أحمد سحنون ، دراسات وتوجيهات إسلامية ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992.

4- بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر من 1830مـــ الى 1989 مـــ ، ج2 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006 .

5- الحطيئة ، ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان) ، ط1 ،1993 .

6- حسن سليم نعيسة ، شعراء وراء القضبان ، دار الحقائق ، بيروت لبنان ، ط1 ،1986.

7- ديوان ابن زيدون ، شرح الدكتور فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1993 .

8- ديوان الأمير عبد القادر ، شرح وتحقيق ممدوح حقي ، دون طبعة ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1960 .

9- طرفة بن العبد ،ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ،ط3 ، 2002.

10- سالم معوش ، شعر السجون في العصر الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ط ، 2003 .

11- صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر – تاريخها ونشاطها- ،دار البرق ، لبنان ، 2002 .

12- عبد القادر صيد ، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ،بسكرة ، الجزائر ، 2003 .

13- عصام نور الدين .نور الدين الوسيط . دار الكتب العلمية .بيروت .ط 2 .2009 .

14- عمر بوقرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ، منشورات جامعة باتنة ، دط ،1997.

15- عنترة بن شداد ، الديوان ، شرح يوسف عيد ، دار الجليل ،بيروت ، دط ، 2001 .

16- ابن الفارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، ط1 ، مج 3 ، 1991 .

17- فوزي مصمودي ، تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة من 1900الى 1956م ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ، بسكرة ،الجزائر ،2006 .

18- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة النوري للطباعة والنشر و التوزيع ، دمشق ط1 . ج4 ، 2010 .

19- كمال بن عطاء الله ، جمعية علماء المسلمين الجزائريين ، مسيرة علم وإصلاح ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، الجزائر ، 2012 .

20- محمـــــد الحسن فضلاء ، المسيـــــرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الجزائري ، ط1 ،دار الأمة ، الجزائر ، 1999 .

21- محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج2 ،دار هرمه ، الجزائر ، 2000 .

22- محمد دراجي ، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر ، دار قرطبة ، لنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ،2013 .

23- معجم اساتذة اللغة العربية .معجم الوسيط . مكتبة الشروق الدولية مصر ط 4 .2004 .ص 418 .

24- مفدي زكرياء ، ديوان اللهب المقدس ،المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الرغاية الجزائر ،(د.ط)، 2007 .

25- مقران فصيح ، البناء اللغوي لشعـــر السجون عند مفدي زكرياء واحمد صافي النجفي ،منشورات بونة ، عنابة – الجزائر ،ط1 ،2008 .

26- مكتب الدراسات ، ديوان محمد العيد آل الخليفة ، دار الهدى ،عين مليلة الجزائر ، دون طبعة ، 2010 .

27- المنجد في اللغة والاعلام .دار المشرق ، بيروت ، ط 27 ،1984 .

28- ابن منظور ، لسان العرب فصل السين باب النون ، دار صادر بيروت ، ط3 ، مج3 ، 1994 .

الرسائل و الدوريات :

29- براهيمي فوزية ،شعر السجون في الاندلس ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ، كلية العلوم واللغة والآداب ،دط ،2004 .

30- بديعة لفضايلي ، شعر المنافي والسجون في الادب المغربي ما بين 1912-1956، المندوبية السامية لقدماء المقاومين ، ط1 2008 .

31- سكينة قدور ، الحبسيات في الشعر العربي الحديث ، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري قسنطينة ، دط ، 2007 ، ص41 . .42

32- علاوة ناصري ،البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي ، جامعة محمد خضر– بسكرة – كلية الادب واللغات ، دط، 2012-2013 .

33- يوسف العايب ،المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر (1954-1962) ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – كلية الادب واللغات ، دط، 2011 .

المواقع الالكترونية :

34 -مصطفى قاسم عباس ، شبكة الألوكة ،مقال ، شعراء في غياهب السجون ، 11/3/2009مـــ - 1430/3/14 هـــ http://www.alukah.net/literature .

35 -الأميرة بديعة الجزائري ، لمحة عن تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري ، الأحد 06 رجب 1433هـ ، 27-5-2012م , 12:20 ،الرابط http://binbadis.net/archives/497 .

نفائس المدرسة الجزائرية ، https://www.nfaes.net ، 2018/04/07 ، 17.55

36 - أعلام, الجزائر, العلامة أحمد سحنون, العلماء, ترجمة, سيرة حياة, عمار رقبة شرفي, موقع الشاملة ، الأربعاء 24 ذو القعدة 1438هـ ،20:41 ،http://www.oulamadz.org/ .

37 - الطاهر آيت علجت ، في ذكرى وفاة الغلامة الشيخ أحمد سحنون لا يعرف أقدار الرجال إلا الرجال ، 15 مارس 2015، www.chihab.net .

الفهـــــــــــرس

الموضـــــــــوعات	الصفحة
مقدمة	01
تمهيد	03
الفصل الأول : شعر السجون تطوره وأهم ملامحه عند الجزائريين	
المبحث الأول : شعر السجون عند العرب عبر العصور	06
العصر الجاهلي	06
عصر صدر الاسلام والأموي	08
العصر العباسي	10
شعر السجون في العصر الحديث	13
المبحث الثاني : شعـــر السجون عند الجزائرييـــــن.....	17
عبـــد الرحمـــن بـــن العقون..... ..	17
محمد العيد آل الخليفة.....	19
مفدي زكرياء	20
قصته مع السجون.....	20
نتاجـــه الأدبـــــي.....	21
الأمير عبد القادر.....	23
آثـــــــاره.....	24
شعـــره داخـــل السجـــــن	25
الفصل الثاني : شعر السجون وموضوعاته عند أحمد سحنون	
المبحث الأول : الشيخ أحمد سحنون حياته وأهم نشاطاته	26
المولـــد والنشـــأة	26
زوجاته وأولاده	26

حياته العلمية ورحلاته 29
تعليمـــــــــــه 29
رحلاتـــــــــه 31
وفاتـــــــــــه 31
آثـــــــــــاره..... 32
الشيخ أحمد سحنون ودوره الإصلاحي..... 34
دوره في المجال الديني 34
دوره في المجال التربوي..... 35
الشيخ سحنون والثورة التحريرية 37
الشيخ سحنون بعد الاستقلال..... 37
الشيخ أحمد سحنون و السجون..... 39
المبحث الثاني : موضوعات شعر السجون عند أحمد سحنون 41
الحنين إلى الأهل و الأحبة..... 41
الحنين الى الوطن..... 43
وصف جرائم المستعمر..... 44
التوق الى الحرية والاستقلال..... 45
التغني بالثورة..... 47
الحنين الى العروبة 48
الخاتمـــــــــــة 50
قائمة المصادر والمراجع 51
فهـــــــرس الموضوعات 54